



سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

تراثنا

سلطنة في نيويورك

أول رحلات الأسطول العماني لأمریکا

عام ١٨٤٠ م

تأليف
هرمان فردريك أبلتس

الطبعة الثانية

١٩٨٢

تقديم

هذا البحث كتبه مستر هيرمان فريدرليك إيلتس سفير الولايات المتحدة الأمريكية السابق في جمهورية مصر العربية .

وقد نشر أول مرة في الحلة الرابع سنوية التي يصدرها معهد اسكس في مدينة سالم بولاية ماساشوستس في أكتوبر عام ١٩٦٢ . ثم أعادت نشره بتصريح من المعهد ومن المؤلف سفارة سلطنة عمان في واشنطن .

ولهذا البحث أهميته الخاصة التي جعلت السفارة العمانية في واشنطن تختاره للنشر ، ثم كان لإدراك وزارة التراث القومي والثقافة لأهميته أيضاً ما دفعها إلى ترجمته ونشره باللغة العربية كي ينتفع به القارئ العربي ويتعرف من خلاله على حقائق تاريخية هامة عن عمان وعن دورها في تحقيق العلاقات الوطيدة بين العالم العربي والعالم لحديد ولعل قارئ هذا الكتاب سواء في لغته الأصلية - الإنجليزية -

أو في ترجمته العربية يلمس جوانب الأهمية لهذا الموضوع في مجريات التاريخ الحديث ، ذلك أن رحلة السفينة « سلطنة » إلى نيويورك في عام ١٨٤٠ ، والمهمة التي كلف بها أحمد بن نعمان كمبعوث خاص للسيد سعيد إلى الولايات المتحدة الأمريكية تعد أول صلة حقيقية بين العالم العربي وبين الولايات المتحدة الأمريكية بعد استقلالها وتكوينها كدولة كبرى بين دول العالم .

ولئن كانت مراکش قد اتصلت بالولايات المتحدة في نفس

الوقت تقريباً إلا أن اتصال عمان بأمريكا يعد مثلاً للإصرار العربي على الاضطلاع بالدور الفعال في العلاقات الدولية ، ويؤكد أن سلطنة عمان بصفة خاصة كانت لها رؤية ثاقبة وإدراكات جغرافية وسياسية واسعة الأفق بحيث تشتمل على جميع أرجاء العالم القديم والحديث .

وأخيراً فإن الفضل في ذلك يعود لوزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان ولوزيرها الثاقب النظر في هذا الاختيار الموفق لمثل هذا الكتاب مما تقوم الوزارة بنقله إلى القارئ العربي من حقائق تكون غائبة عنه وهي فخر لوطنه العربي الكبير .

ولقد اقتضى نشر الترجمة العربية المتخفف من نشر هوامش الأصل ، وهي في جملتها إشارات للمصادر التي استقى منها المؤلف معلوماته .

(١)

السفينة والرحلة

طلع الفجر تدرجياً على مدينة نيويورك في صبيحة الخميس ٣٠ من أبريل عام ١٨٤٠ ، وبعد انفلاق الصباح بقليل ظهرت في الأفق سفينة تهادى فوق سطح الماء مبتعدة قليلا لتتفادى اللسان الرملى الذى يدور عند طرفه مصباح مضىء ليحدد مدخل مرفأ نيويورك ، وهنالك توقفت السفينة لتأخذ مرشداً ملاحياً تدخل إلى الميناء تحت قيادته .

وأخذت السفينة تبهر ببطء مدفوعة بريح خفيفة من الجنوب الغربى دون ما حاجة إلى الأشرعة ، وبقيادة هذا الملاح المرشد ، أخذت تسير فى المضيق المتعرج لتدخل منه إلى الخليج حيث ألقت مراسيها فى منطقة الحجر الصحى وتوقفت انتظاراً لإنهاء الإجراءات الرسمية لدخول المرفأ .

كانت هذه السفينة هى السفينة سلطانة أو السلطانة ذات حمولة تبلغ ٣٠٥ طناً ، وكانت السلطانة قد أبحرت من زنجبار منذ سبعة وثمانين يوماً متجهة إلى نيويورك . ويتبين من النظرة الأولى للسفينة أنها كانت سفينة متميزة ، فعلى الرغم من أنها كانت قد بنيت فى بمباى منذ سبع سنوات ، إلا أنها من الناحية الفنية كانت أوروبية الطابع ، ذات سطح يرتفع عند المؤخرة ، وجسمها مصنوع من

خشب التلك ، ولم تكن ضخمة فخمة ، فأعمدتها صغيرة قصيرة ورشيقة تستدق عند أطرافها ، وصواريها تزينا وتريدها جمالاً ، ومع ذلك فهذه الصواري كبيرة لا تتناسب مع حجم جسم السفينة .

ولقد لاحظ موظفو الميناء أن قمرات السفينة كانت متواضعة وحسب ما قالوا ، إنها لا تختلف كثيراً عن قمرات أى سفينة أوروبية عادية إن لم تكن أسوأ منها ، وكانت القمرات مطلية من الداخل باللون الأبيض أو العاجي . أما سطح السفينة فكان محاطاً بجوانب واقية ترتفع سبعة أقدام ، وبها أماكن لأربعة عشر مدفعاً مما يدل على أنها كانت تستخدم أحياناً كسفينة حربية ، ولما كان وجودها في نيويورك مهمة سلمية من أجل الصداقة فلم تكن تحمل سوى أربعة مدافع فقط .

وحينما دخلت السلطنة الميناء كان غاطسها منخفضاً تحت الماء لما تحملها من بضائع ثقيمة في بطنها ، ولذا كانت المظلة الخشبية المقامة على سطحها بادية للعيان ، ويرى من تحتها فرسان يبدو عليهم الإنهاك من طول الرحلة ، وكانت علامات الإنهاك من الرحلة الطويلة تبدو في كل مكان من السفينة ، فالأشرعة ممزقة حتى في أجزائها الرئيسية وكانت قد ركبت حديثاً قبيل مغادرة السفينة ، فلم يزد عمرها عن خمسة شهور ، ولعل تمزقها يرجع أيضاً إلى الإهمال فيها وطبها وهي مبللة بالماء مما أوصلها إلى تلك الحالة التي يتعذر معها استعمالها في البحر ثانية .

وكان على السفينة ستة وخمسون من الرجال الأشداء ، وكانت لحاهم مطلقة غير مشدبة من أثر الشهور الطويلة في رحلة بحرية متواضعة ليس فيها أى وسائل للراحة أو المتعة أو الترفيه .

وطيلة الرحلة كان من الطبيعى ألا يأكل هؤلاء البحارة أكثر من وجبة واحدة في اليوم ، وكانت الوجبة تتكون أساساً من أرز بالكارى تكوم كمية كبيرة منه في إناء كبير تمتد إليه جميع الأصابع في وقت واحد ، ولم يكن اللحم يقدم إلا قليلاً وفي أول الرحلة .

ويقال أن الطعام كان يطبخ بماء مخزون أسن ملء بالطحالب والحشرات المتحللة فيه ، بل والفئران الغارقة ، ولعل هذه الكائنات الحية قد نفذت إلى تلك البراميل لإهمال البحارة في إغلاقها ، ولعلها كانت تلجأ إلى هذه البراميل لأنها لا تجد ما يقيم أودها سوى الالتجاء إلى الماء العذب .

أما طعام الضباط على السفينة فكان أكثر سخاء ، يشتمل على طبقين كبيرين ، وإذا أتى وقت الطعام مدت سجادة كبيرة على ظهر المركب ووضع في وسطها الطعام ، وفي الأيام الأولى من الرحلة كان أحدهما يملأ إناء بلحم الضأن المطبوخ ، ثم أصبح يملأ بالأرز المخلوط بالكارى بعد أن نفذ اللحم ، أما الطبق الثانى فكان يملأ بالتر والمائج المالحه والتوابل وغيرها ، ويتربع ضباط السفينة حول الأطباق يلتمسون منها الطعام الشهى ، وكانوا لا يمدون إلى هذه الأطباق إلا أيديهم انمى بعد غسلها بالماء .

وكان يعقب طعام الضباط عادة القهوة الساخنة من بن مخا
الأصلى الطازج الذى تفوح نكهته قوية ، وتوزع عليهم فى فناجين
صغيرة ، وتدور عليهم الرجيلة تنتقل من يد إلى يد لتدخين الطباقي
ولما طال زمن الرحلة تعرضت المواد المخزونة للنقص والنفاذ وقلت
معها كميات الأرز التى كانت تملأ الأصحون لكل من البحارة والضباط
على حد سواء .

وفى عدا اثنين من الفرنسيين اللذين كانا ضمن طاقم السفينة
كان الملاحون جميعاً إما من عسكر البحارة المسلمين الذين جلبوا
من سواحل كونكان ومالابار فى غرب الهند ، وأغلب هؤلاء من
فقراء الهنود الذين يبحثون عن الأجور بأى وسيلة فى عدا القليل
منهم ، وأخذ معظمهم من بمباى حيث أدخلت السفينة للتصليح
والإعداد لتلك الرحلة ، وهى رحلتها الأولى إلى المحيط الأطلسى ،
وقد أتى بهم أحد متعهدى السفن الهنود منتزعا إياهم من سفن أخرى
وكان أغلبهم من الرجال الأشداء الغلاظ .

وكان سواد البشرة يغلب على نسبة كبيرة من بحارة السفينة
والمساعدين ، وتبدو على تقاطيعهم أنهم من أصل أفريقى ، وكثيرون
منهم أيضاً كانوا من رقيق الضباط وقد أتوا بهم معهم على ظهر
السفينة ليحصلوا لهم على أجر عن عملهم . وكان هؤلاء المساعدون
يمثلون طبقة ثالثة على السفينة فكانت تلقى اهتماماً أقل تبعاً لحجم العمل
الضئيل الذى يقومون به ، وكان طعامهم من بقايا الصبحون ،

وكانت ملابسهم مصنوعة من قماش القطن الخشن ، وكان كل منهم يحمل معه في الرحلة رداءين إلا أنهم قليلا ما كانوا يغيرون الرداء إلا إذا وصل إلى درجة بالغة من الإتساخ .

ولقد لازم السفينة وبجارتها رائحة نفاذة متميزة لم تستطع ريح البحر المالح أن تزيلها ، وكانت هذه الرائحة تمثل مزيجاً من رائحة القرنفل والصمغ والبن الصادرة من مخازن السفينة ، ورائحة القار الأسود الصادرة من المطبخ في أسفل السفينة ، فضلاً عن روائح هون المطبخ ودورات المياه البدائية التي كانت تختلط جميعاً برائحة زيت جوز الهند النفاذة ، وكان البحارة يدهنون أجسامهم به كل يوم سبت اعتقاداً منهم أنه يزيل داء الروماتزم . وكان البق والبراغيث تسرح في جميع أنحاء السفينة ومن عليها ، حتى أن بعض البحارة كانوا يقضون بعضاً من أوقات فراغهم يتبادلون تنظيف بعضهم منها ، ومثلهم في ذلك مثل سائر البحارة وراكبي السفن في ذلك العصر .

وفي بعض الأحيان كانت أوقات الفراغ من العمل طويلة للغاية وكان أفراد طاقم السفينة يحاولون القضاء على ما يصيبهم من ملل بالاستغراق في نوم عميق لساعات طويلة ، أو القيام بأداء صلوات نوافل وقراءة الأدعية والتسبيح وذكر أسماء الله الحسنى تكراراً على مسبحاتهم ، فإذا خيم الليل اختلف أسلوب الحياة على ظهر السفينة ، فالأفريقيون يتسلون بالرقص العنيف السريع الخطوات على نغمات

الطبول القوية التي اعتادوها في بلادهم ، أو كان الجمع يستمع منصتاً إلى أحد العرب أو الهنود يشلو بنغم من الأنغام الوتيرة أو ينشد من غناء بلاده ما يردده الجميع معه .

وكان من أهم ما يشغل وقت الفراغ أيضاً هو تبادل رواية القصص ، فيلقى البعض على أسماع الآخرين ، من بطولاتهم الشخصية وذكرياتهم في البحار وفي مواجهة العواصف ما قد يخرج من مجرد الرواية إلى الخيال القصصي الذي يعيد إلى الذاكرة قصص السندباد وأساطير الشرق التي طال ترديدها بصور مختلفة تثير انتباه السامعين وتمتعهم ..

وقاد السفينة إلى نيويورك بحار إنجليزي يدعى وليام سليمان ، كان يعمل من قبل في البحرية الملكية وسبق له أن قاد الفرقاطة البحرية العمانية المسماة البرنس ريجنت ، ومرت السفينة بمحطتها الأولى والوحيدة في سانت هيلانة ، حيث اشترى سليمان كميات كبيرة من الخمر لاستهلاكه الشخصي أثناء رحلة عبور الأطلسي ، وكان سليمان ملاحاً ماهراً إلا أنه كان من مدمني الخمر ، وقد حكي أنه أخذ يشرب مما اشتراه من سانت هيلانة حتى بلغ أعلى درجات السكر في وقت كانت السفينة فيه تأخذ طريقها إلى أعالي البحار في أخطر مرحلة من مراحل الرحلة .

ظل سليمان ثملاً مستلقياً في فراشه لا يقوى على الحركة أو التفكير لمدة ثمانية أيام ، بدأت في وقت كانت السفينة فيه قد قطعت مرحلة

واحدة مما دعا إلى إلقاء ما بقي من الخمر في البحر ، ولولا أن أحد ضباط السفينة تذكر حديثاً ما جرى أمامه أثناء رسو السفينة في سانت هيلانة لحدثت كارثة ولضلت السفينة طريقها الصحيح ، فعند رسو السفينة في تلك الميناء استمع ذلك الضابط العربي إلى حديث بين قبطانين أمريكيين يذكران أن خير طريق للوصول إلى نيويورك هو الاتجاه أولاً إلى الشمال الغربي مباشرة .

قام هذا الضابط بتوجيه السفينة إلى ذلك الاتجاه اجتهداً بدون خبرة سابقة معتمداً على مشيئة الله وعونه ، وقد نجح في ذلك بفضل الله ، فلم تعترضهم في المرحلة الأولى من الرحلة أى مياه ضحلة أو جزر صخرية ، وكانت الرياح متوسطة السرعة تهب في الاتجاه المطلوب ، وظلت السفينة تحت قيادة هذا الضابط حتى أفاق سليمان من خمره .

والغريب في الأمر أن سليمان هذا لم يكن قبطاناً صارماً بقدر مهارته ، فقد كان إذا أفاق من الخمر يفقد أعصابه بسهولة ، وكان إذا ما صاح في البحارة أحياناً لا يقابل إلا بالنجهم والخطرة والإهمال من جانبهم ، ولعل الحالة السيئة التي وصلت إليها السفينة ترجع إلى ذلك .

وكان على السفينة ضابط يسمى محمد عبد الله هو الضابط الأول وهو عربي أسمر ذوقامة قصيرة ، كثيف شعر الذقن ، تقاطيعه قوقازية دقيقة ، اتصف بالكسل والتراخي ، ولقد كان متوعداً

في أغلب الأحيان مما يجعله قليل الفائدة ، ولم يكن يتدخل كثيراً في تفسير أمور السفينة ، وكان الضابط الثاني محمد جمعة شاباً شديداً السمرة ضخمة الأنف على وجهه علامات قبلية مما ينم عن أصله العربي الأفريقي المختلط ، ولكنه يتميز بوجه باسم محبوب لدى الجميع ولعل مظهره العام كان غير مقبول ، ولكن كان يخفى من وراء ذلك ذكاءً طبعياً ورغبة ملحة في أن يوسع أفق معارفه .

وكان يكمل مجموعة الضباط العرب على السفينة ضابط عربي صغير لم يعرف اسمه في ذلك الوقت .

ومن بين من كان على ظهر السفينة أوروبي آخر كان يدعى جون البرتغالي ، كان سائمان قد اصططحبه معه ليكون طاهياً وخادماً على السفينة ، ولقد اتصف جون هذا بالدناءة والخسة والجشع فضلاً عن القذارة البادية في ملابسه وعاداته ، وكان لصماً خفيف اليد .

ولتكتمل الصورة التي توضح مظاهر العجب في هذه الرحلة أن السفينة كانت تحمل ضمن ركابها سيدتين إنجليزيتين إحداهما مسز روبرت نورثورزى زوجة أحد التجار الإنجليز في مسقط ووصيفتها مسز شارلوت طومسون ، وكانتا قد غادرتا مسقط على ظهر السلطنة في طريق عودتهما إلى وطنهما في إنجلترا ، وعند وصول السفينة إلى نيويورك وقفتا كغيرهما والإعياء والتعب باد عليهما ولكن نظرتهما إلى الميناء كانت تتم عن علامات البشر والسعادة بالوصول ، والشغف الشديد للهبوط من السفينة إلى نيويورك حيث

كانتا ستقيمان أسبوعين وتغادران بعدهما إلى لندن على سفينة بريطانية ، ولعل السفر هذه المرة سيكون في ظروف أفضل مما لقيتاه على السلطنة .

وفي وسط هذه المجموعة المتنوعة من المسافرين على ظهر السفينة سلطنة كانت هناك شخصية كبيرة ، رجل عربي بدين قصير ، ذو لحية طويلة ، يلقي الاحترام والتبجيل من جميع من في السفينة ، أحمد بن نعمان ، وكانت بشرته قمحية وعينه قوية النظرات ، ولقد كان البعض يرون فيه رجلاً عنيفاً صارماً ، بينما ينظر إليه الآخرون على أنه رجل طيب رقيق القلب مرهف الحس .

وقف أحمد بينهم شامخاً مهاباً ، وقد علت رأسه عمامة زاهية الألوان ، ولف وسطه بحزام من قماش الكشمير من نفس قماش العمامة ، وفوق سرواله وقميصه الأبيض الناصع لبس قفطاناً جميلاً أسود اللون ، مطرزاً بخيوط ذهبية عند الأكتاف وعلى الصدر ، وكان شخصه بصفة عامة محاطاً بمظاهر الاحترام والمهابة .

ولشد ما أدهش رجال الميناء عندما تقدم إليهم هذا الرجل العربي يتحدثهم بالإنجليزية واضحة ، ويعان لهم أنه هو رئيس هذه السفينة لا سليمان ، وأن اسمه هو الذي يجب أن يظهر في سجلات الميناء ، ففعلوا ما طلب وشطب اسم سليمان من السجلات وأحل محله اسم أحمد بن نعمان ووظيفته الممثل الشخصي لسعيد بن سلطان حاكم مسقط وزنجبار وتوابعهما ، وقد جاء في رحلة طويلة دار

فيها حول نصف العالم تقريباً ممثلاً لحاكم مسقط وعمان وزنجبار في بعثة تجارية ، ومهمة للتعبير عن الرغبة في الصداقة والسلام مع الولايات المتحدة .

رست سلطنة في الميناء ، وكانت ترفرف عليها الراية القرمزية الزاهية الحالية من أى زخرف ، وهى الراية الأميرية التى ترتفع على قطع الأسطول العماني ، وما أن ألقت السلطنة مراسيها حتى اقتربت منها سفينة حربية أمريكية كبيرة ذات ٧٤ مدفعاً من أسطول نيوكارولينا كانت راسية في حوض بروكلين الخاص بالبحرية الأمريكية في ميناء نيويورك ، وما أن اقتربت ووقفت بجانب السلطنة حتى تقدم منها ملازم بحرى حاد النظرات واتجه إلى حيث وقف أحمد ليحبر بالتحية وباسم رئيسه العميد البحري جيمس رانشو مدير حوض الميناء عن الترحيب بالسفينة العربية ، وقبلت التحية والترحيب بتقدير من رجال سلطنة .

أكملت السلطنة الإجراءات الرسمية للرسو في الميناء خلال يومين من وصولها ، أى الثانى من مايو سنة ١٨٤٠ ، واقتيدت إلى رصيف الميناء إلى موقع عند نهاية طريق ركتور في النهر الشمالى ، وكانت السلطنة أول سفينة عربية تحمل أول بعثة رسمية تصل إلى شواطئ أمريكا للزيارة والتجارة .

(٢)

العلاقات العمانية الأمريكية

أدت رحلة أحمد بن نعمان هذه إلى نمو التجارة التي كانت وليدة بين أمريكا وبلاد السيد سعيد ، وكانت هذه التجارة قد بدأت من قبل منذ خمسة عشر عاماً على يد أحد التجار المستثمرين من بلدة سالم بولاية ماساشوستس ، غير أن أمريكياً آخر هو آدموند روبرتسون من أهالي بورتسمات في ولاية نيوهاامبشاير قد نجح في إرسائها على أسس قوية مستندة إلى إتفاقية موقعة .

ولكى لا نغفل الحقيقة لابد لنا أن نذكر أن السفن الأمريكية كانت تصل إلى الموانئ الجنوبية للجزيرة العربية منذ زمن مبكر في أوائل القرن التاسع عشر ، وكان وصولها إلى الشواطئ العربية يتم وهي في طريقها إلى الهند وجزر الهند الشرقية أو في طريق عودتها منها ، ولكن رحلات السفن الأمريكية قد توقفت تماماً منذ عام ١٨١٢ بقيام الحرب وإعلان الرئيس الأمريكي جيفرسون مقاطعة السفن الأمريكية للمحيط الهندي .

ولقد بدأت السفن الأمريكية تظهر ثانية في المحيط الهندي في العشرينات المبكرة من القرن التاسع عشر ، وبدأت تظهر على شواطئ شرق أفريقية أولاً بالرسو في موانئ موزمبيق ثم مدغشقر ، وأخذت بعد ذلك تتجه تدريجياً نحو الشمال حيث وصلت أول

سفينة أمريكية إلى زنجبار في يولييه سنة ١٨٢٥ ، وكانت هذه السفينة الأولى التي وصلت بعد المقاطعة ، هي السفينة المسماة لوريل بقيادة العميد بحرى الكابتن بريانت ، وكانت قادمة من ميناء سالم في ماساشوستس ، ثم أعقبها في عام ١٨٢٦ أربع سفن أمريكية أخرى ، وتضاعف عدد السفن الأمريكية التي ترسو في زنجبار في العام التالي ١٨٢٧ .

ويتفق الظهور المفاجئ للاهتمام الأمريكي بزنجبار وشرق أفريقية بالصدفة مع زيادة اهتمام السيد سعيد بممتلكاته في ساحل أفريقية ، وقد عرف السيد سعيد لدى المعاصرين من الأوروبيين والأمريكيين بلقب سلطان مسقط ، وأطلق عليه البعض خطأ لقب إمام مسقط ، أما هو فكان يحمل اسم واقب « سعيد حامى الضعفاء والفقراء في مسقط وتوابعها » .

وكان السلطان سعيد المشهور قد ورث عرش البوسعيد منذ عام ١٨٠٤ ، وقد استمر حكم السيد سعيد أكثر من نصف قرن من الزمان حتى عام ١٨٥٦ مما جعله أشهر أمير عربي حكم في المنطقة . امتدت أملاك السيد سعيد الشاسعة من رأس الحد إلى مقاطعة ظفار في جنوب شرق الجزيرة العربية ، ومن رأس جرادفوى إلى رأس دجادو على طول ساحل شرق أفريقية ، حيث امتدت

أملاكه إلى أطراف النفوذ البرتغالى ، غير أن النفوذ الملكى البوسعيدى لم يكن كاملاً فى كل الأنحاء ، فقد كان هناك تمرد وكانت هناك ثورات هنا وهناك تطبع الحياة السياسية فى عهد السيد سعيد .

وبالإضافة إلى تلك المشكلات الداخلية الممثلة فى عمليات التمرد المحلية ، وجد السيد سعيد نفسه متورطاً فى الصراع الفرنسى البريطانى للسيطرة على المحيط الهندى ، وهو الصراع الذى بدأ مع بداية الاضمحلال والضعف الذى أصاب الحكم البرتغالى منذ أوائل القرن الثامن عشر ، فقد اقتضت الحكمة أن يتعاون السيد سعيد مع بريطانيا التى نشطت لتحقيق هدفها المزدوج فى حماية خطها البحرى إلى الهند من جهة ومنع تجارة الرقيق من جهة أخرى .

ونتيجة لهذا النشاط أصبح النفوذ البريطانى محسوساً فى كل الأراضى المطلة على المحيط الهندى ، وأدى ذلك إلى أن السيد سعيد وقع مع بريطانيا معاهدة لمنع تجارة الرقيق عام ١٨٢٢ عرفت باسم معاهدة مورسبائى ، جاءت تعزيزاً لمعاهدة سابقة كان قد وقعها سلفه حول نفس الأمر .

وبمجرد أن تولى السيد سعيد العرش بدأ يعمل على تثبيت سلطته وبسط نفوذه فى جميع أنحاء المملكة الشاسعة ، وكان همه الأكبر فى العشرين سنة الأولى من حكمه يتركز فى ثلاثة أمور ، أولها إصلاح أمور عمان الأصلية ، ثانيها صد الغزوات الخارجية ومواجهتهم فى داخل

الجزيرة العربية ، ثالها محاولة إثبات كيانه في وسط الحكام المتعديين في الخليج . وقد نجح في ذلك ولكن كان نجاحه نجاحاً وقتياً ، إذ سرعان ما سرت حمى الاضطرابات في أنحاء كثيرة من عمان ، واستمر يقاسى منها حتى آخر أيامه ، ولئن اعتبر البعض بجهوده هذه مظهراً من مظاهر الفشل إلا أنها أخذت على أنها محاولات للقضاء على القرصنة في الخليج مما أكسبه بعض العطف من جانب بريطانيا ، وساعده ذلك كثيراً على تحقيق أهدافه في جهات أخرى من البلاد التي لم تمتد إليها الثورات .

ومنذ العشرينات الأولى من القرن التاسع عشر ، بدأ السيد سعيد يوجه اهتمامه نحو شرق أفريقية حيث كانت الاضطرابات السياسية قد بدأت منذ وقت طويل وتبلورت دون أن تلقى رد فعل مباشر من السيد سعيد ، ولعل ذلك التحول السريع الذي وجه الاهتمام الجغرافي للسيد سعيد إلى شرق أفريقية هو تصرف سيء من جانب أحد الضباط البريطانيين هو الكابتن ولیم أوين الذي أعان عام ١٨٢٤ الحماية المؤقتة على مماسة وهدد باتخاذ نفس الموقف بالنسبة لجزيرة بمبا ، بحجة استجابته لطلبات شيوخ المزارع ولجؤهم إليه للحماية ، وقد كان شيوخ المزارع عشيرة سائدة في مماسة وبعض الجهات الأخرى من المملكة ، وقد أعانوا إنكارهم لأحقية السيد سعيد في تولي عرش عمان .

ولما لم يكن لدى أوين أى تفويض رسمى فقد سارعت الحكومة البريطانية ، حينما بدأت المواجهة مع السيد سعيد ، بسحب الإعلان ، أما بالنسبة للسيد سعيد فقد كانت حادثة أوين هذه درساً له ، على أن هناك فراغاً فى شرق أفريقية سوف تملأه إحدى القوى الأوروبية إذا ما تركه هو .

كانت زنجبار ومباشرة تعتبران مفتاحاً شرق أفريقية ، إذ تتميزان بموقعهما الدفاعى الآمن ، وكان يقوم على حكم زنجبار مفوض من أقارب السيد سعيد ، أما فى مباشرة فقد بقى المزاريع على عنادهم ، وفشلت كل المفاوضات فى تغيير وجهة نظرهم سلمياً ، وبناء على ذلك قام السيد سعيد بالتوجه على رأس أسطول كبير يحمل جيشاً ضخماً من مستقط إلى شرق أفريقية فى النصف الثانى من عام ١٨٢٧ . وباستخدام المدفعية ، والخدمة الحربية عند الوصول إلى مباشرة استطاع إدخال حامية عسكرية إلى قلعة (فورت جيسوس) الحصينة التى تسيطر على المدينة . وبدأ من أول وهلة أن التمرد أحمد وأن المهمة قد انتهت بنجاح ، ولذا اتجه السيد سعيد بأسطوله إلى زنجبار المجاورة ووصلها فى أواخر يناير ١٨٢٨ فى أول زيارة له يقوم بها للجزيرة ، التى أصبحت فيما بعد عاصمته الثانية والمقر الرئيسى لإقامته .

وكان أول ما واجه السيد سعيد عند وصوله إلى زنجبار لقاءه مع روبرتس الذى كان فى حالة غضب شديد نتيجة لمعاملة السفينة

الأمريكية مارى آن ، وهى إحدى سفن نيوبدفور د الأمريكية ، وقد وصلت إلى زنجبار بقيادة الكابتن ستيفانس وعليها روبرتسون فى محاولة لاقتناص فرصة تجارية جديدة بعد أن ضاعت عليها الفرصة فى رحلتها إلى أمريكا الجنوبية ، وقد لقيت هذه السفينة بعض العقبات التى أقيمت فى وجهها ، إذ أرغمت على دفع سبعة ونصف فى المائة ضريبة مقابل الخمسة فى المائة التى كان يدفعها البريطانيون ، كما قام أحد كبار الموظفين الحكوميين بتفتيش بضائع السفينة بما وصفه روبرتس بأن فيه شيئاً من التعت ، هذا فضلاً عن أن ما اضطرت إلى دفعه من عمولات ورسوم عالية لرو و السفينة أكثر بكثير مما كان قد اتفق عليه مسبقاً مما زاد الغضب والسخط ، ولم تكن هذه هى أول سفينة أمريكية تتعرض للمعاملة السيئة وتلقى الصعاب فى زنجبار .

وما كاد السيد سعيد يستقر فى قصر إمتونى الذى اتخذ مقرّاً له حتى وصله خطاب من روبرتس فى ٢٧ يناير سنة ١٨٢٨ يتضمن احتجاجاً على المعاملة السيئة التى لاقاها هو وأهل بلده فى الجزيرة ، وجاء فى هذا الخطاب — الذى كتبه روبرتس — مقدماً نفسه فيه إلى السيد سعيد على أنه القنصل الأمريكى — أن السفن الأمريكية التى قاست من كل تلك الصعاب غير مستعدة للعودة مرة أخرى إلى هنا ، وعرض فى الخطاب للعلاقات بين زنجبار وأمريكا موضعاً أن هذه العلاقات هى فى صالح سلطان زنجبار وعمان ، لأن أمريكا —

بخلاف إنجلترا وفرنسا — ليس لها أى خطط سياسية فى بلاده ،
وأن اهتمام أمريكا يقتصر فقط على تنمية التجارة المشروعة مع زنجبار .

ولقد أعرب روبرتس فى خطابه عن استعداده أن يحمل رسائل
السيد سعيد إلى الولايات المتحدة على أن تتضمن هذه الرسائل
الشروط التى على أساسها يمكن للتجارة الأمريكية أن تلقى المعاملة
فى الموانئ الخاضعة لحكم السيد سعيد ، واقترح روبرتس مشروع
معاهدة تجارية للتفاوض على أساسه ، وأضاف فى خطابه وعداً بأنه
إذا تم الاتفاق والموافقة على هذه المعاهدة فإن سفينة حرب أمريكية
تأتى فى العام التالى حاملة المعاهدة بعد أن تكون الولايات المتحدة
قد صدقت عليها .

ولئن كان علم السيد سعيد بالولايات المتحدة محدوداً للغاية ،
وصورتها لديه غير واضحة ، إلا أن ما تقدم به روبرتس كان مثيراً
للإهتمام لما قد يكون له من أثر فى زيادة إيرادات الخزنة التى كانت
تعانى من ضغط المصروفات الشديد عليها ، فلقد كان السيد سعيد
يحتاج إلى أموال طائلة للإنفاق منها على أسطوله الضخم ، ولدفع
رواتب الجند ، وتسديد نفقات تسليحهم ، هذا فضلاً عن الأموال
التي يحتاجها لتقديم الهدايا والمنح لآتباعه من الحكام المحليين ،
وما يحتاجه لمواجهة الصرف على الضيوف والزوار وغيرها من
مستلزمات مظاهر الملوك .

وكانت إيرادات الخزانة في ذلك العهد تقتصر على الضرائب الزراعية التي قلما تعدت ٢٥٠ ألف كراون (ما يعادل نحو ٢٤٩ ألف دولار) في العام ، وكان السيد سعيد قد أصبح بالفعل أكثر المستثمرين في نطاق البلاد التي تتبعه ، وكان دائماً يبحث عن أسواق جديدة لتجارته ولتدعيم التجارة انفتح باب جديد هو الحاجة إلى مستلزمات الدفاع والحرب وبخاصة من المدافع والقنابل والبارود وغيرها من الذخائر التي كان يود السيد سعيد بكل الوسائل أن يحصل عليها ولكن عن طريق غير طريق إنجلترا وبدون علمها . وطبقاً لما عبر عنه السيد سعيد نفسه كانت آماله لا تقتصر على إخضاع سفن المتمردين فحسب ، بل كان يهدف إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير وهو طرد البرتغاليين من موزمبيق .

وبناء على الأوامر دفع روبرتس الرسوم فوراً ، ثم وافق السيد سعيد على مقابلته على ملأ من الناس بعد ذلك بأيام ، وكان إصرار السيد سعيد على تسديد الرسوم أولاً لحة ذكاء من حاكم يريد أن يبدي عدم الاكتراث بتجارة الولايات المتحدة مع زنجبار ومسقط ، وعلى ذلك قلما وجه السيد سعيد إلى روبرتس سوئالاً عن الأسباب التي جعلت الولايات المتحدة لا تدخل في معاهدة تجارية معه مثلما فعلت حكومة الإنجليز . لقد أصبح اقتراح روبرتس الذي سبق تقديمه ، هو اقتراح من جانب السيد سعيد وتكليف منه

لروبرتس أن يبلغ حكومة الولايات المتحدة عن استعداده لعقد إتفاقية تجارية ، وأنه متحمس لذلك .

وحينما عاد روبرتس إلى الولايات المتحدة في السنة التالية طاب من صهره عضو مجلس الشيوخ الأمريكي عن ولاية نيويورك مبشائر السناتور ليثي ووديرى أن يساعده في تنفيذ خطته ، وأخذ ووديرى على عاتقه أمر إثارة اهتمام زملائه التجار لذلك ، ولكن لم تجد هذه المحاولات ، لأن مسقط وزنجبار لم تكونا معروفتين لمعظم الأمريكيين في ذلك العصر ، وكانت الردود التي تلقاها على هذه المحاولات أنه لا توجد في الكتب معلومات واضحة عن مسقط وزنجبار حتى يمكن الرجوع إليها ، وقد كان في إمكان رجال مدينة سالم أن يقدموا مثل هذه المعلومات ولكنهم آثروا الصمت حفظاً للمعلومات لأنفسهم حتى لا يشجعوا المنافسين لهم للإتجار في تلك المناطق .

وعلى كل حال فان فرض التجارة مع جزر الهند الشرقية والشرق الأقصى وكذلك اليابان كانت مشجعة للأمريكيين الذين كانوا ينتظرون لها مستقبلاً زاهراً ، غير أنه لم يكن هناك أى تفكير في ذلك من جانب الحكومة ذاتها حتى أواخر عام ١٨٣١ حينما أصبح ووديرى سكرتيراً للبحرية الأمريكية وتبلورت لديه فكرة زيارة مجموعة صغيرة من سفن الأسطول الأمريكي للمحيط الهندي وانتهت الفكرة إلى قرار بارسال بعثة إلى سيام والهند الصينية واليابان إذا أمكن ، كما أشير إلى القوى العربية في الجزيرة العربية والبحر

الأحمر ضمن المناطق التي سيزورها الأسطول ، ونص على أن الهدف من إرسال البعثة هو العمل على عقد معاهدات أو اتفاقات تجارية مع تلك الدول .

استخدم وودبرى نفوذه لتكليف صهره روبرتس بالمهجة السرية لهذه البعثة ، وتأكد بنفسه من إرسال خطابات اعتماده كمندوب لدى السيد سعيد ، وتضمنت هذه الخطابات رسالة من الرئيس الأمريكى جاكسون معبراً فيها عن رغبة الولايات المتحدة فى عقد معاهدة مع زنجبار .

وأبحر روبرتس من الولايات المتحدة فى مارس سنة ١٨٣٢ على ظهر السفينة بيكوك التى كان يقودها الكابتن ديفيد جيزنجر إلى المحيط الهندى ، ولكى لا تتدخل القوى المعادية وضع اسم روبرتس فى سجلات السفينة على أنه الكاتب الخاص لقائد السفينة .

وصلت السفينة بيكوك إلى مسقط فى سبتمبر سنة ١٨٣٣ بعد أن أتمت المهام الموكولة إليها فى المحيط الهندى ، وكان السيد سعيد فى ممباسة فى ذلك الوقت ، وكاد يتم الوصول إلى اتفاق على معاهدة الصداقة والتجارة التى عدلتها وزارة الدولة الأمريكية وزودت بها روبرتس قبل سفره بقليل .

تضمنت المعاهدة ضمن نصوصها العديدة نصاً على أن تكون تعريفه الاستيراد الموحدة التى تسدها التجارة الأمريكية فى الموانى التابعة للسيد سعيد خمسة فى المائة فقط ، كما نصت المعاهدة على بعض

الامتيازات الأخرى للتجار الأمريكيين ، وقام سعيد بن خلفان الذى كان قبطاناً فى أسطول السيد سعيد بدور المترجم ، وقدم على الفور النص العربى للوثيقة وفقاً لما طلب إليه .

وبعد مضى بعض الوقت اكتشف أن هناك اختلافاً بين النص العربى والنص الإنجليزى فى كثير من أجزاء المعاهدة ، ولم تعرف حقيقة الأمر ، إن كان خطأ فى الترجمة أم أمراً متعمداً ، ولقد كان هذا الخطأ متعلقاً بسوء فهم بعض ما يتعلق بمستقبل العلاقات فى السنوات المقبلة .

ورغم وجود هذا الخطأ ، فقد سارت الأمور سيراً حسناً ، فعندما غادر روبرتس مسقط حمل معه خطاباً مع السيد سعيد موجهاً إلى « فخامة رئيس الولايات المتحدة القوى المعظم الذى ملأ صنيته العالم كله » ، واشتمل الخطاب على تعبير السيد سعيد عن سروره لنجاح نتائج المفاوضات التى انتهت إلى المعاهدة ، وتعهد بالتسكك بتنفيذ المعاهدة بدقة وإخلاص . ورفض روبرتس بأدب شديد حمل الهدايا التى أراد السيد سعيد إرسالها معه إلى الرئيس الأمريكى مؤكداً أنه موظف تنفيذى ممنوع عليه تلقى أى نوع من الهدايا .

وبعد أن صدق على المعاهدة فى الولايات المتحدة فى ٣٠ يونيه سنة ١٨٣٤ أرسل روبرتس مرة أخرى كمبعوث خاص على ظهر السفينة بيكوك تحت قيادة القبطان آدموند كندى لتبادل وثائق التصديق بعد رحلة شاقة جنحت فيها السفينة بيكوك عند جزيرة مصيرة ،

وصلت السفينة إلى مسقط وتم تبادل وثائق التصديق على المعاهدة في ٣٠ سبتمبر عام ١٨٣٥ ، وتفضل السيد سعيد قطاب من روبرتس تحديد التاريخ الذي تصبح فيه المعاهدة نافذة المفعول ، وبعد تردد من جانب روبرتس اقترح ٣٠ يونيه ١٨٣٤ تاريخاً لتنفيذ المعاهدة ، وهو تاريخ التصديق عليها من الولايات المتحدة ، فتفضل السيد سعيد بالموافقة على ذلك وبعدها أصبحت المعاهدة نافذة المفعول ، وأرسل روبرتس الخطابات إلى رؤساء الهيئات الأمريكية التي تمتلك السفن التجارية ، وإلى جميع السفن الأمريكية التي تصل إلى زنجبار في رحلاتها ، بما جاء في هذه المعاهدة للأخذ به ، وأرسلت خطابات مماثلة كذلك إلى جميع الرسميين المختصين في حكومة السيد سعيد .

ومع أن المعاهدة أصبحت نافذة المفعول منذ تاريخ سابق ، إلا أن السفن التي كانت قد سددت رسوماً أكبر من النسبة المقررة — فيما بين تاريخ النفاذ وتاريخ التصديق — وعددها ستة عشر سفينة لم تتقدم بأى طلب لرد فروق هذه الرسوم ، بذلك بدأ التنفيذ الفعلي للمعاهدة دون أية مشاكل ، وأصبح لأدموند روبرتس فضل إقامة التجارة الأمريكية مع مسقط وزنجبار على أسس ثابتة أفادت منها كل من الولايات المتحدة الأمريكية والأمة العربية في عمان وتوابعها ، ولسوء الحظ لم تمهل المنية روبرتس حتى يرى نتائج عمله فقد توفي في ١٢ يونيه عام ١٨٣٦ في موناكو نتيجة إصابته بدوسنتاريا مزمنة أصابته في سيام واستمرت معه أثناء تبادل وثائق التصديق في مسقط .

ولقد أصبحت التجارة الأمريكية مع زنجبار تبشر بالفعل بمستقبل زاهر ، فعلى سبيل المثال بلغ جملة عدد السفن الأجنبية التى رست فى ميناء زنجبار فى الفترة من سبتمبر ١٨٣٢ إلى مايو ١٨٣٤ إحدى وأربعين سفينة ، كان من بينها ٣٢ سفينة أمريكية بلغت جملة حمولتها ٥٤٩٧ طناً ، ومن بين هذه السفن الأمريكية عشرين سفينة أتت من ميناء سالم فى ماساشوستس ، وثلاثة من نيويورك وبوسطن والباقي من موان أمريكية أخرى لم يسجل إسمها ، وكان ذلك فى مقابل سبعة سفن بريطانية وسفينة واحدة من كل من فرنسا وأسبانيا أما عن ميناء مسقط فلم يكن له من التجارة الأمريكية مثل ما كان لزنجبار ، فقد دخلته سفينة أمريكية واحدة فى مدة السنوات السبع التى بدأت من سنة ١٨٣٥ .

وطبقاً لنصوص المعاهدة الأمريكية عينت أمريكا قنصلاً تجارياً لزنجبار ومسقط ، وكان ذلك القنصل هو ريتشارد بالمر ووترز من مدينة سالم بولاية ماساشوستس ، ولقد انضم إليه فى العمل ابتداءً من شهر مارس ١٨٣٧ ممثل المؤسسة بروتروم وشبرد وهو من مدينة سالم أيضاً ، ثم وصل إلى مسقط بعد ذلك فى أكتوبر ١٨٣٨ هنرى مارشال عضو غرفة المحاسبة فى مؤسسة سكوفيل وبرتون التى تعمل فى نيويورك ، ولكنه غادرها بعد شهور قلائل لأسباب يغاب أن تكون شخصية محضة ، وقد اقترح عند مغادرته أن يقوم سعد ابن خلفان — الذى ترجم المعاهدة — بتولى أعمال القنصلية فى مسقط

إذا إقتضى الأمر ، ولكن لم يعين سعيد بن خلفان فى وظيفة القائم بالأعمال للقنصلية الأمريكية فى مسقط إلا عام ١٨٤٣ وفى الفترة السابقة لذلك كان ووترز يتولى المسئولية .

ولقد كان ووترز طيلة هذه المدة يتظاهر بالإفلاس ويعان أمام السفن الأمريكية التى تحمل كميات كبيرة من البضائع أنه فى عسرة مالية وكان يحول تسعة أعشار العمل إلى أخيه عن طريق جبرام ابن سيواجى المتولى لشئون الهند فى زنجبار ، وأدى ذلك إلى أن الكثير من التجار الأمريكين المترددين على زنجبار يتهمون به بأنه يقوم بتصرفات احتكارية ، ويتقدمون ضده بشكاوى إلى وزارة الدولة ، غير أن كل الشكاوى التى أرسلت ضده ، لم تأت بنتيجة تذكر .

ومهما يكن من أمر فان وجود ووترز فى زنجبار قد ساعد على الإسراع فى تنمية التجارة مع الولايات المتحدة ، فكانت السفن الأمريكية تحمل إلى زنجبار المنسوجات القطنية والأوانى الفخارية ، والبنادق والبارود ، ومستلزمات بناء السفن ، والساعات والأحذية وغيرها من المصنوعات ، وكانت تعود إلى أمريكا من زنجبار محملة بالصمغ والقرنفل والعاج وغيرها ..

(٣)

فكرة الرحلة

كان نمو التجارة مع الولايات المتحدة أثرها الطيب في نفس السيد سعيد باعتباره المستفيد الأول من هذه التجارة ، ولقد كانت شخصية ووترز في أول الأمر عقبة في سبيل نمو هذه التجارة لما امتاز به ووترز من الصرامة وعدم قبول التنازلات ، على أنه أمكن فيما بعد أن يتم تفاهم متبادل بينه وبين السيد سعيد .

ولقد اعتبر ووترز السيد سعيد هو أكبر عميل للتجارة الأمريكية في التقارير التي قدمها ، ولئن كانت هذه التقارير تفتقر إلى الإحصائيات الدقيقة إلا أن حجم مشتريات السيد سعيد كما يبدو قد تعدت الخمسة والثلاثين ألف دولار في مارس عام ١٨٤٥ وهو الوقت الذي كانت التجارة فيه تقدر بدأت تتناقص ، ووصف مساعد ووترز هذا المبلغ بأنه عملية صغيرة بالنسبة للسلطان ، الذي كان يعتبر تاجر الحملة الرئيسي في نطاق مملكته .

إن الطريقة التي يتبعها السلطان في بيع البضائع المستوردة بسيطة للغاية ولكنها في نفس الوقت ذات فعالية كبيرة ، وهي كما وصفها أحد المراقبين الأمريكيين ، أن السيد سعيد يستدعى عدداً من التجار الهنود ويقسم بينهم ما يستورده بكميات تناسب مع حجم النشاط

التجارى لكل من هؤلاء التجار ، وكانت تفرض عليهم البضائع بصرف النظر عن حالة الطلب على السلعة فى السوق المحلية ، وكان هؤلاء التجار يسددون قيمة البضاعة الأصلية مضافاً إليها ٢٠ أو ٢٥ فى المائة ، ولئن كانت هذه الطريقة تبدو الآن وكأن فيها شيئاً من التحكم ، إلا أنها كانت الطريقة السائدة فى الشرق كله .

ولقد امتلأ ذهن السيد سعيد بفكرة تنشيط التجارة بارسال سفينة إلى الولايات المتحدة ، وسأل نفسه هل يمكن أن ينمى إرسال مثل هذه السفينة الاتصالات التجارية المباشرة لكى لا يستمر الاعتماد فى التجارة مع الولايات المتحدة على السفن الأمريكية التى تأتى إلى زنجبار بالبضاعة وتحمل منها البضاعة إلى أمريكا ؟ .. وقد بدأت هذه التساؤلات التى أثارت الفكرة فى ذهن السيد سعيد وساعد على ذلك أن أسطوله الذى يتكون من عشرين سفينة مختلفة كان يحوب المحيط الهندى فقط بحثاً عن التجارة فى أوقات السلم التى لا يستعمل فيها الأسطول لأغراض أخرى .

وكان فى مناسبة لقائه الأول مع روبرتس فى يناير عام ١٨٢٨ قد اقترح أن يرسل إحدى الفرقاطات التى كانت فى المحيط الهندى إلى الولايات المتحدة بمجرد عودتها إلى ميناء زنجبار لكى تشتري بعض الذخائر والبضائع من أمريكا .

غير أن السيد سعيد كان متردداً فى تنفيذ الاقتراح ويرجع هذا التردد أساساً إلى عدم وجود القبطان المناسب لقيادة هذه الرحلة

الطويلة ، ذلك أن معظم بحارة السيد سعيد لم يكونوا قد اجتازوا البحار فيما وراء رأس الرجاء الصالح بجنوب أفريقية ، ولذا كان تفكيره في أن يقوم روبرتس نفسه بالسفر على السفينة ، غير أنها تأخرت بصورة لم تكن متوقعة ، وكان روبرتس يستعجل العودة إلى بلاده بعد انتهاء مهمته مما أدى إلى صرف النظر عن الفكرة من أساسها ، وبالإضافة إلى ذلك فإن ما حدث للسفينة بيكوك جعل السيد سعيد يعطى وعداً لروبرتس بأن يرسل سفينتين بدلاً من سفينة واحدة ، إحداهما تحمل طاقم السفينة بيكوك إلى وطنهم ، وتكون الثانية تحت تصرف روبرتس ليكمل رحلته في المحيط الهندي والتي يتجه بعدها إلى الولايات المتحدة .

ولقد ظن البعض أن من وراء هذا الكرم الذي أبداه السيد سعيد غرضاً اقتصادياً هو أن تعود السفينتان محملتين بالبضائع ، غير أن هذه الخطط كلها فشلت إذ قد تم إصلاح السفينة بيكوك ، ووصلت سالمة إلى مسقط ثم تابعت رحلتها إلى بمباى لإجراء الإصلاحات اللازمة فيها .

تأجل تنفيذ المشروع مدة أطول بوصول ووترز إلى زنجبار ، ولقد قال البعض إن ووترز حاول أن يثنى السيد سعيد عن إرسال إحدى سفنه إلى الولايات المتحدة لأن الصلة القوية بين ووترز وأصحاب المصالح التجارية في سالم جعلته لا يشجع على التعجيل بتنفيذ خطة السيد سعيد ، غير أنه لا يوجد دليل يثبت هذا الزعم .

وفي أبريل ١٨٣٩ وصلت إلى زنجبار السفينة ارشيبا لدجراسي بقيادة الكابتن ساجارى من نيويورك ، وقد أدى وصول هذه السفينة إلى إحياء الفكرة ثانية ، لقد جاءت هذه السفينة من مؤسسة جديدة تكونت في نيويورك تحت اسم مؤسسة سكوفيل وبريتون ، وتحمل على ظهرها إدجار يوتسفورد كمدير للبضائع ، وكذلك المستشار المختص بشئون بمباي ويسمى ر . ستار باركر ، وكلاهما من هذه المؤسسة الجديدة .

وحتى وصول هذه السفينة لم تكن الشركات البحرية القائمة في نيويورك قد أبدت اهتماماً كبيراً بالتجارة مع زنجبار ومسقط ، إلا أن مؤسسة سكوفيل وبريتون قد بدأت توجه اهتماماً خاصاً إلى هذه المنطقة ، ويرجع ذلك إلى أن المساهمين الرئيسيين في هذه المؤسسة قد نجحوا في الحصول على معلومات كان قد جمعها آدموند روبرتس عن إمكانيات الإتجار مع بلاد السيد سعيد ، ولقد ساعد على ذلك أن هاريت ابنة روبرتس كانت قد تزوجت من عضو الكونجرس أماسا باركر الذى أصبح فيما بعد قاضى نيويورك ، وكان صديقاً لكل من سكوفيل وبريتون ، ومن خلال هذه الصلة استطاعا التوصل إلى معلومات دقيقة من مذكرات روبرتس التفصيلية عن مسقط وزنجبار ، وكان روبرتس قد احتفظ بأصولها ضمن ممتلكاته الخاصة واعتاد أن يرسل إلى وزارة الدولة صوراً منها ، ولما مات انتقلت هذه الأوراق إلى أولاده .

ولقد نجح بتسفورد في تسويق بضائع قيمتها ٢٠ ألف دولار ،
مما دفعه إلى استحثاث السيد سعيد على فتح طريق مباشر للتجارة
بين بلاد السيد سعيد ونيويورك ، لم يهتم السيد سعيد في أول الأمر
مدفوعاً بتكتيك خاص من جهة ولتجنب مواجهة ووترز من جهة
أخرى ، رغم تلقيه هدية قدمت له وسعد بها وتكون من بندقية
جديدة ذات ثمانية طلقات لم يسبق له رؤيتها من قبل .

على أنه في اجتماع تم فيما بعد مع بتسفورد وافق على أن يقيم
تجارة مباشرة مع نيويورك ، وقد تصرف سكوفيل وبتسفورد بطريقة
مخالفة للطريقة التي تصرف بها تجار مدينة سالم من قبل ، فقد أمكنهما
تشجيع الحاكم العربي على أن يرسل إحدى سفنه إلى الولايات المتحدة
ونظراً لأن مؤسستهما لم يكن لديها السفن الكافية بحيث تخصص
بعضها للتجارة مع شرق إفريقية ، جاء ترحيبهما بهذه الفكرة كعمل
له فائدته .

وحينما غادرت السفينة ارشيبالد جراسي من زنجبار تجاه مسقط
ومبای كان السيد سعيد قد اقتنع تماماً بفكرة إرسال إحدى سفنه إلى
نيويورك ، وأصدر أوامره للسفينة سلطنة التي كانت آنذاك في
مبای لتستعد وتتهيأ لهذه الرحلة .

كانت السفينة « سلطنة » بين السفن العديدة التي يمتلكها السيد
سعيد هي أحسنها وأنسبها لهذه المغامرة ، وقد سماها باسم زوجته
الأولى السلطنة عزة بنت الأمير سيف الحاكم في شیراز الفارسية .
(م ٣ - سلطنة في نيويورك)

وكانت « سلطنة » أيضاً تتميز بأنها أحدث وأسرع سفن الأسطول العماني ، وكانت أيضاً مزودة بطاقم أشرعة ممتاز ، وقد وصفها القبطان الأمريكي الذي قادها بأن أشرعتها كانت تحتضن الريح وتوجه به السفينة إلى حيث تريد ، ووصفها هذا القبطان أيضاً بأنها كانت رطبة كعلبة المضخة ، وقد جعلتها هذه الصفات قادرة على أن تمخر عباب أى بحر وتتخطى بأشرعتها المنشورة أى عقبة تقابلها في البحار العليا .

ولقد كانت سلطنة فوق ذلك رمزاً لفخر السيد سعيد ، وعرفاناً للجميل من جانب الأمريكيين ، ذلك أنه بمجرد وصول أخبار جنوح السفينة بيكوك الأمريكية عند جزيرة مصيرة سنة ١٨٣٥ ، سارع السيد سعيد باصدار أوامره إلى سلطنة التي كانت في ذلك الوقت في ميناء مسقط أن تتجه من فورها إلى السفينة الأمريكية لإنقاذها .

وبناء على هذه الأوامر اتجهت السلطنة إلى جزيرة مصيرة حيث التقت بالسفينة بيكوك وكانت جانحة على بعد خمسين ميلاً من الجزيرة وكان قائدها قد استطاع أن يلقي أكثر ما عليها من بضائع في محاولة لإنقاذها من الغرق ، وجرتها سلطنة إلى ميناء مسقط في رحلة خطيرة ولكنها ناجحة .

وفي أوائل أغسطس عام ١٨٣٩ أعلن السيد سعيد عن نيته في أن يرسل « سلطنة » إلى الولايات المتحدة وأخبر ووترز بذلك ،

وكان يعلم أن القنصل ووترز يأمل العودة إلى الولايات المتحدة على ظهر هذه السفينة ولقد قوبل هذا الخبر بكثير من الإمتنان ، ولكن السيد سعيد كان مدفوعاً إلى ذلك أيضاً بأدراكه عدم وجود قبطان مناسب ليقود السفينة إلى أمريكا .

حدث أن السيد سعيد قد تحدث مراراً إلى ووترز في أن يساعد في الحصول على أحد من الزملاء من سفن البحرية الأمريكية التي تأتي إلى زنجبار ليقود السفينة التي ينوى إرسالها عبر المحيط الأطلسي إلى أمريكا ، وكان ذلك قبيل سفر السيد سعيد إلى مسقط في سبتمبر عام ١٨٣٩ ، وحينذاك اعترف له ووترز بعدم قدرته على قيادة السفينة بنفسه ، وإن كان يتوقع فقط أن يبحر عليها لولا أن موعد رحيلها لم يتحدد ، وبسبب المعلومات التي عرفها عن سلوك سليمان قائد السفينة ، ثم كان وصول السفينة الكافالير من سالم مما جعله يعجل بالإبحار إلى الوطن عليها في يناير سنة ١٨٤٠ .

ومع ذلك فإنه عند مغادرته زنجبار كان يتوقع أن يكلفه السيد سعيد بتولى أعماله في الولايات المتحدة ، وأن يبعث معه بهدايا إلى إدارة الرئيس الأمريكي ، ولكن ذلك لم يتم على ما كان يهوى .

وحينما جاء دور اختيار المبعوث الذي سيمثله في الولايات المتحدة وجد السيد سعيد صعوبة كبيرة في الأمر ، إذ أنه كان يتوق إلى أن تنجح البعثة في مهمتها وتثير اهتمام وإعجاب الأمريكيين لأقصى درجة ممكنة ، وعلى هذا فكان أول من اختاره هو أحد أصهاره

ويسمى سيد حسن بن إبراهيم ، الذى لمس فيه أنه على استعداد لقبول المهمة ، وكان على مستوى تعليمى راق إذ تلقى تعليمه فى الهند ، وكان يجيد اللغة الإنجليزية ويتميز بالذكاء والجادبية الشخصية وكان السيد حسن أيضاً ممن حاز إعجاب الأمريكين والأوروبيين الذين يعرفونه ، وقد اعتبره ووترز أفضل من يقوم بهذه المهمة ، ولكن السيد حسن أشفق على نفسه من المغامرة وخشى من عدم نجاحها بالصورة التى يرتضيها ، فضلاً عن عدم رغبته فى تحمل مشقات السفر الطويل غير المريح ، فجعله ذلك كله يدعى المرض ، فاضطر السيد سعيد إلى اللجوء إلى سكرتيره الخاص أحمد بن نعمان ليقوم بالمهمة .

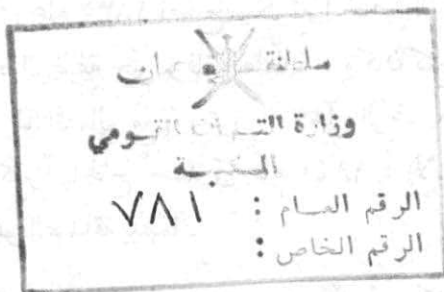
وأحمد هذا هو ابن نعمان بن محسن بن عبد الله بن الكعبى البحرانى ، ولد فى البصرة عام ١٧٨٤ حيث تلقى تعليمه الإسلامى ، وكان أبوه عربى الأصل من نسل بنى كعب حيث استوطنوا ساحل الخليج ، أما أمه فقد كانت فارسية الأصل ، ولا يعرف شىء عن طفولته ، أو عن حياته الأولى ، ولكن يقال أنه بدأ حياته كغلام يخدم على ظهر سفينة ، وقد أظهر فى عمله ذكاء وقدرة نادرة جعلته يترقى سريعاً فى أعمال البحرية ، وهناك دلائل كثيرة على أمانته وتقواه ، غير أن الكثير من حساده كانوا يحاولون النيل منه بأن يلصقوا به بعض التهم الكاذبة ، وفى بعض الأوقات كانوا يتهمون به بأنه ذو وجهين .

كان أحمد قد التحق بخدمة السيد سعيد في مسقط في أوائل العشرينيات ، ويقال أنه سافر إلى الصين وإلى مصر وإلى أوروبا في مهمات عديدة ممثلاً لسيدته ، وكانت معظم هذه المهمات هي مسئوليته عن البضائع الخاصة بالسيد سعيد ، أو كمدير للسفن التجارية التي كان يسافر عليها . وقد سافر الحاج أحمد إلى مكة لأداء فريضة الحج في تاريخ غير معروف بالدقة ، ولكنه يحتمل أن يكون في عام ١٨٢٤ وهي السنة التي قام فيها السيد سعيد نفسه برحلة الحج الكبرى في حياته .

واستمر أحمد في عشر السنين التالية يكلف بمهمات تجارية خاصة بالسيد سعيد ، وفي عام ١٨٣٥ أصبح سكرتيراً خاصاً للسيد سعيد ، وظل يشغل هذه الوظيفة حتى وفاة السلطان ، وكان كثيراً ما يكلف بالأعمال التي لها اتصال مع ووترز ، وعلى الرغم من أن ووترز لم يكن يعبأ كثيراً بالحاج أحمد في عام ١٨٤٠ ، إلا أن السنين قد ساعدت على نمو الصداقة بينهما .

وبعد أن استقر الرأي على اختيار سلطنة للسفر إلى أمريكا ، وأن أحمد هو المبعوث الذي سيقوم بالمهمة ، بدأ الاستعداد للرحلة وظلت السفينة راسية في ميناء مسقط من ١٦ إلى ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٣٩ تشحن بالبضائع ، ثم أبحرت إلى زنجبار لتأخذ مزيداً من البضائع ، وأصبحت مستعدة في أوائل فبراير ١٨٤٠ لتعبر المحيط الأطلسي .

وكان الميناء الوحيد الذى رست فيه قبل نيويورك هى ميناء سانت هيلانه حيث قام أحمد بزيارة رسمية لحاكمها ، وقدم له زجاجة من العطر الوطنى كهدية له من السيد سعيد ، وكانت مدة السبعة والثمانين يوماً التى قضتها السفينة سلطنة فى رحلتها إلى نيويورك ليست أكثر من التى كانت تقضيها السفن الأمريكية الممثلة ، إن لم تكن أقل منها ، فعلى سبيل المثال قضت السفينة كافالير التى سافر عليها ووترز مائة وستة عشر يوماً لتصل إلى مدينة سالم .



(٤)

سلطنة في نيويورك

كانت نيويورك عام ١٨٤٠ حينما وصلتها سلطنة مدينة فتية
مهيجة صاحبة مليئة بالنشاط والحيوية ، تنمو نمواً سريعاً للغاية ،
فقد تضاعف عدد سكانها في العشر السنوات السابقة حتى بلغ ٣٢٠
ألف نسمة ، وكان هذا النمو في ازدياد مضطرد ، وخلال شهر مايو
الذي وصلت في أوائله السفينة سلطنة رست بالميناء المزدهر المستمر
الازدهار نحو ١٨٥ سفينة أخرى .

وكان من دواعي فخر نيويورك على غيرها من مدن العالم في
ذلك الوقت صحافتها المتطورة ، فكانت تصدر بها عشر جرائد يومية
تمتلئ صفحاتها بملاحظات عن التطورات المحلية والشئون المدنية ،
والمشاكل المحلية مثل مشكلة استقلال تكساس ومشكلة ثورات الهنود
الحمراء في فلوريدا وغيرها من مشكلات العصر التي كانت تشغل
أذهان الناس ، وبمجرد وصول حقيقة البريد مع إحدى السفن الآتية
من أوروبا كانت صفحات هذه الجرائد تمتلئ بأخبار منقولة عن
صحف أوروبا .

وفي نفس الوقت كانت مدة رئاسة الرئيس مارتن فان بورين
قد قاربت على الانتهاء ، وكانت أخبار انتخابات الرئاسة تحتل
العناوين والصفحات الرئيسية ، ومن أهم تلك الأخبار أخبار الاجتماع

الذى عتمده الحزب الديمقراطي في بلتيمور في الخامس من مايو ،
أى بعد وصول أحمد بأيام قليلة ، وتقرر فيه أن يرشح فان يورين
للمرة الثانية في انتخابات الرئاسة ، وبعدها بقبائل رشح حزب
المحافظين وليم هنرى هاريسون ، وبذلك دخل كل من الديمقراطيين
والمحافظين المعركة الانتخابية بكل قواهم ، وهكذا كانت نيويورك
في مطلع العقد الرابع من القرن التاسع عشر في قمة نشاطها وحيويتها .

ولقد كتبت جريدة الهيرالد الصباحية تصف نيويورك « مأروع
هذه المدينة ، إنها مليئة بالمفاجآت ، والمرح والغرائب وكل ما يثير
الدهشة ، إن الأحداث المثيرة فيها لا تتوقف ، فكلما انتهى حدث
مثير حل محله حدثان أو ثلاثة أو أكثر ... »

وصل أحمد مبعوث السيد سعيد في هذه الظروف ، فأعطى
وصوله أهالى نيويورك مادة جديدة للإثارة ، وفرصة جديدة
للمشاهدة والمتابعة والتعليق ، وهى فرصة أكبر لمن يريدون كتابة
القصص ، ويذكر البعض أن أهالى نيويورك قد وجدوا في حضور
أحمد إثارة أكثر من إثارة زيارة الراقص النسوى ، وجولات
الهولانديون بسر او يلهم القصيرة في حفلات الرقص .

كان لخبر وصول أحمد وقعاً غريباً على أهالى نيويورك ،
فاهتمت به صحيفة الهيرالد الصباحية المشهورة التى يرأس تحريرها
جيمس جوردن بنيت ، وكذلك جريدة صحافة نيويورك (نيويورك
بريس) وقد عبرت الهيرالد الصباحية عن ذلك بقولها « إنها مفاجأة

مثيرة حقاً لنا نحن الأمريكيين » . كما ذكرت الميرالد عن أن السيد سعيد شخصية هامة لها صفة الطموح إلى جانب حبه للاستثمار ، وشبهته في ذلك بشخصية محمد علي في مصر .

على أن هذه المقارنة بين شخصية السيد سعيد وشخصية محمد علي مقارنة غير دقيقة ، وإن كان هناك أوجه شبه من بعيد ، ذلك أنه إذا دققنا النظر نجد أن كلا من محمد علي والسيد سعيد قد حكما في زمن متعاصر تقريباً ، وقد تبادلوا الرسائل حول مشاكلهم المشتركة . وقد أدى الانتصار الذي أحرزه محمد علي إلى أن السيد سعيد غير من خطته بالنسبة لشرق إفريقية ، ومع ذلك فقد ظهرت أزمة متصاعدة منذ عام ١٨٣٩ حينما انكشف الحاكم مصر الباشا من اطماع في جنوب الجزيرة العربية .

ولقد نشرت جريدة البوست المسائية أنباء عن المساعدة التي قدمها السيد سعيد للسفينة بيكوك ، وأضافت أنه لا يوجد في العالم المسيحي من يتصف بالأخلاقيات السامية التي أصبح العالم ينظر إليها باعجاب وتقدير مثل ما ظهر في هذه المساعدة من جانب حاكم مسقط ، كما ذكرت أيضاً جريدة نيويورك الأمريكية أنه يجب تقديم كل التسهيلات الممكنة من جانب الحكومة للبعثة الأولى التي أرسلها الحاكم العربي للتجارة مع العالم الجديد ، ويجب أن تكون

هذه التسهيلات لائقة بما قبل به الأمريكيون من معاملة حسنة في بلاده وما غمروا به من كرم عربى بالغ .

وكانت الاستجابة لذلك في نيويورك فعالة ، فبمجرد التعرف على شخصية أحمد سارع العميد البحرى رانشو بإبلاغ هيئة نواب الحاكم في مجلس نيويورك عن مركز المبعوث ، وعن طبيعة المهمة التى أتى بها في هذه الزيارة البالغة الأهمية على ظهر السفينة سلطنة ، وقد أبدى رانشو في إبلاغه هيئة نواب الحاكم استعداداه الشخصى للتعان وتقديم التحيات اللازمة لمبعوث السيد سعيد .

وبناء على هذه المعلومات اجتمعت هيئة نواب الحاكم المتفرعة من المجلس العام للمدينة في ٤ مايو سنة ١٨٨٠ لوضع صيغة الترحيب بالمبعوث العربى ، وتضمنت هذه الصيغة اعتبار وصول السفينة سلطنة خطوة أولى لتدعيم الصداقة والتجارة بين البلدين ، وأضاف البيان أنه نتيجة للرغبة المتبادلة في ذلك فإن الصداقة والتجارة بين البلدين سوف تتقدم بسرعة كبيرة ، وعبرت الهيئة في بيانها عن الترحيب بوصول السفينة وكذلك تحية لأحمد بن نعمان قائد السفينة السلطنة .

واجتمعت هيئة المساعدين في نفس اليوم ، وهى هيئة مشتركة من كل من المجلس العام للمدينة ونواب الحاكم وقررت تكوين لجنة استقبال تضم خمسة أعضاء من كل من الهيئة والمجلس لتقديم التحية والترحيب باسم المدينة .

وبمجرد أن شاعت أخبار وصول السفينة العربية اندفع الكثير من أبناء نيويورك إلى رصيف الميناء حيث تجمعوا لإلقاء النظرة على السفينة العربية ومشاهدة طاقمها العربي غير المألوف لديهم ، ولم يرق للببحارة أن يأتي الناس لمشاهدتهم فتركوا ظهر السفينة ولجأوا إلى ممراتها للاختفاء من أوجه الناس الفضوليين .

وفي ٨ مايو أدرك عمدة المدينة فريدريك ليندرخطورة المضايقات التي تحدث للببحارة ، وبدأ ينظم عملية إبعاد الجماهير عن السفينة ، ولكنه اضطر إلى تعيين اثنين من رجال البوليس لمنع الأهالي من الصعود إلى السفينة ، وظلت السفينة تحت حراسة البوليس حتى نقلت إلى حوض الأسطول الأمريكي في أواخر الشهر .

ولقد اجتذب طاقم السفينة أنظار الناس ، فعندما نزلوا إلى الشاطئ تمسكوا بملابسهم الوطنية الحذابة ، وقد دفع الفصول بعض الأفراد إلى الاقتراب منهم ونحس لحامهم للتأكد من أنها طبيعية غير مستعارة ، ولقد عبرت جريدة الهيرالد الصباحية عن هذا الاهتمام بقولها : « كان العرب ينظرون حولهم ، ويبرمون أشنابهم ويستغربون من نظرات التعجب التي تبدو على وجوه الأمريكيين » .

على أن هذه النظرات لم تكن تحمل أى نوع من العداوة أو السخرية المقصودة ، بل كانت في أغلب الأحيان نوعاً من الإكرام ورغبة في التعارف بأعضاء طاقم السفينة « ساطانة » ، وكثيراً ما كان

الأمريكيون يغرون بعض البحارة العرب إلى تناول الشراب معهم في أركان المدينة ، ولما لم يكن أى من أفراد الطاقم قد اعتاد شرب المسكرات فانه قد وقع كثير من حالات السكر الخطيرة ، وعلى سبيل المثال حسب ما ذكرت جريدة نيويورك سيجنال أن أحد البحارة وصل إلى السفينة وهو يترنح ويصيح ، فلما رآه أحد كبار السن من ذوى اللحي البيضاء الطويلة أخذ يوبخه على المنكر الذى ارتكبه ، وحذره من مثل تلك التصرفات .

أما عن أحمد والضابطين الكبيرين في طاقمه فقد كرموا تكريماً بالغاً ، ففي يوم الأربعاء ١٣ مايو سار معهم أعضاء المجلس العام للمدينة في جولة لمشاهدة معالم نيويورك وضواحيها ، وزاروا أثناء هذه الجولة معهد العميان ، ومركز رعاية الصم والبكم ، ثم اتجه الجميع إلى منزل وليامز الرئيس السابق للمجلس في منطقة بلومنجدال التى تسمى حالياً مرتفعات مورننج سايد ، وهناك تناولوا الغداء ، وأعقب الغداء جولة قصيرة في سكة حديد هارلم ، وكانت تجربة جديدة بالنسبة للسيد أحمد وصاحبيه ، إذ لم يسبق لهما أن ركبا السكة الحديد .

وأخذتهم القوارب بعد ذلك إلى الإصلاحية ، وإلى الحديقة المفتوحة في جزيرة بلاكويل لمشاهدة المتسكعين والمتعطلين ومدعى الفلاسفة ، وأعقب ذلك زيارة إلى بلفيو ، ثم توج الجولة عشاء رسمى في قاعة مجلس المدينة ، وكان أحمد قد أنهك من طول

التجوال ، فلو حظ أنه لم يتناول إلا قليلا من الطعام والشراب المقدم له .

وكان بولدنج سكرتير البحرية قد أصدر أوامره المكتوبة في ٥ مايو إلى رينشو بأن يولى كل الاهتمام لقائد السفينة العمانية التي وصات مؤخراً وضباطها ، وبناء على ذلك وجه رينشو الدعوة إلى أحمد وضباطه للقيام بزيارة رسمية لمرسى وحوض الأسطول الحربى وبناء على هذه الدعوة قامت أربعة قوارب حربية فى الساعة الحادية عشر من يوم الإثنين ١٨ مايو بعبور النهر الشرقى حاملة الضيوف العرب إلى ميناء الأسطول الأمريكى ، وكان كل قارب يحمل اثنى عشر بحاراً بملابسهم البيضاء والرسمية كحرس شرف ، وكان على ظهر قارب القيادة العميد البحرى يرهو فى ملابسه الرسمية الزرقاء اللون وعلى كتفيه النجوم والأشرطة المشغولة بالخيوط الذهبية ونزل بخطى عسكرية متجهاً إلى قلعة جاردن حيث كانت المقابلة قد رتبّت هناك .

نزل رينشو لتحية أحمد وضباطه ولتقديمهم إلى العمدة وإلى أعضاء مجلس مدينة بروكلين الذين كانوا قد أبدوا رغبتهم فى المشاركة . وكان العرب فى ثيابهم الطويلة الخضراء اللون المقفلة بزرير حتى العنق ، وقد لوحظ أن أحمد وعبد الله لم يكونا يلبسان الحذاء العسكرى وكانا يسيران على أقدامهما ، أما جمعة فقد كان يلبس حذاءً جلدياً من الأحذية الواردة إلى زنجبار من سالم ، ورغم أن

أحمد كان قد أصيب بتورم وألم في قدميه بعد وصوله بأيام قليلة إلا أنه كان بادی الحيوية هو وضابطه الأول عبد الله ، بينما كان يبدو على جمعة شيء من الحجل والحياء في معاملاته .

وبعد تبادل التحية صعد الجمع إلى القوارب الأربعة وتحركت في صف واحد إلى حوض الميناء الحربي ، وبدخولهم الخليج المفتوح كانت السفينة كارولينا الشمالية في استقبالهم بالميناء ، فأطلقت ثلاثة عشر مدفعاً ، تحية للزوار وكان رجالها على استعداد لهذا الاستقبال ، فلما اقتربت القوارب من جانب السفينة أوقفت مجاديفها ، وصعد الضيوف العرب والمضيفون في صف واحد إلى السفينة .

ولما كان من الواجب أن يمر أحمد في أنحاء السفينة في جولة تفتيشية ، نزل وهو يعرج إلى الأجزاء السفلى من السفينة حيث زار الوحدة العلاجية والمستشفى ، ثم توجه معه قائد السفينة إلى أحد قمراتها للراحة ، وكان في حقيقة الأمر يحتاج إلى مثل هذه الراحة .

وبعد نحو الساعة ترك الجمع السفينة وسط طلقات أخرى من المدافع للتحية ، واتجهوا إلى رصيف الميناء حيث كان في استقبالهم العميد البحري سايلاس سترنجهام مساعد رانشو ، وأطلقت البارجة مدافعها أيضاً أداءاً للتحية ، ثم أخذت ثلاثة طبول تدق بينما سار حرس شرف للتحية ممثل السيد سعيد .

وعقب تقديم طاقم ضباط الميناء البحري الذين كانوا جميعاً

فى كامل زهم الرسمى ، توجه الضيوف العرب مع الجمع لمشاهدة المنشآت الحربية ، حيث شاهدوا سفينتين حربيتين كبيرتين تحمل كل منهما ٧٤ مدفعا ، هما السفينة فرانكلين والسفينة واشنطن ، ثم توجهوا لزيارة مصنع الصوارى ومصنع الحبال ثم أخيراً زاروا قاعة الاجتماعات العامة التى على جدرانها صور الرؤساء السابقين .

وبعد انتهاء زيارة الميناء اتجه الجميع إلى المنزل الجميل الذى يقطنه القائد البحرى رانشو ، حيث تقابل أحمد وضباطه مع السيدات ومع الضيوف الآخرين الذين وجهت إليهم الدعوة للحضور وعلى أنغام موسيقى البحرية قدم غداء ملىء بالأطعمة الشهية التى صحتها وأعقبها المشروبات المختلفة والحلوى والمثلجات .

وكان من بين من حضر هذه الوليمة جليبرت ديفز حاكم جزيرة كونوى الذى وجه الدعوة للضيوف العرب لزيارة جزيرته . وكان الضابط الأول والثانى كلاهما يتكلمان بلغة انجليزية ضعيفة للغاية مما جعل جميع المحاولات لجرهم فى الحديث لا تلاقى نجاحاً كبيراً .

أما أحمد ذاته فقد حظى باعجاب الجميع لرقته وعذب حديثه فكل من تحدث إليه اعترف بذلك ، ولقى جمعه إعجاباً خاصاً لما يجمعه من سذاجة وذكاء معاً ، وسئل أحمد عن رأيه فى المرأة الأمريكية ومقارنتها بالمرأة العربية من حيث الجاذبية ، فتصدى للدفاع عن المرأة العربية بأدب ورقة .

وحينما حلت صلاة العصر استأذن أحمد ورفاقه ، واتخذوا لهم

جانباً من البهو لأداء الصلاة ، وفي نفس الوقت كانت الترتيبات تجري لمبيتهم تلك الليلة في بيت العميد ، ولذلك أمكن أن يستمر الحفل إلى المساء في بهجة وسرور ، وانتهى الحفل وانصرف الجميع يحملون معهم الذكريات الحميلة لتلك الليلة الفريدة .

وبعد أيام قلائل وصلت الدعوة إلى أحمد وضباطه من النائب فيسك رئيس سكة حديد لونج أيلاند للسفر بالقطار إلى آخر الخط الحديد الممتد إلى مدينة هكسفيل ، وقد طاب العمدة فورمان وأعضاء هيئة بروكلين ، والعميد رينشو ، وبعض رجال الصحافة وغيرهم ، وبدأت الرحلة صبيحة السبت ٢٣ مايو حيث أخذ الضيوف العرب عربة تجرها الخيول إلى محطة السكة الحديد في كلينتون بجزيرة لونج أيلاند ، مارين بشوارع الأطلس إلى بروكلين ، وكان بصحبته العميد رانشو والمستر جورج باركلاي الوسيط الإنجليزي المصاحب لأحمد .

وصل الجميع إلى محطة السكة الحديد يتوسطهم أحمد في عباة المفروحة حيث كان هناك حشد كبير من السيدات اللاتي أتين لمشاهدة الضيف العربي ، وسير قطار خاص لهذه الرحلة إضافة إلى القطارين العاديين اللذين يسيران بانتظام كل يوم . وكان هذا القطار الإضافي الخاص في انتظار الضيف وصحبه ، كانت قاطرته قد صنعت في بالدوين وتسير بأربع عجلات ولها مدخنة ضخمة تكاد تكون في نفس حجم غلاية القاطرة ، ومن خلف القاطرة خزان للمياه وخشب

الوقود موضوعان على عربة مسطحة ملحقة بالقاطرة ، وخلف ذلك عربات الركاب المطلية باللون الأصفر الفاتح .

بمجرد أن ظهر الضيوف العرب وشاهدوا الجمع الكبير انحنوا تحية لهذا الجمع واتجهوا إلى العربة الأولى ، وما أن صعد الجميع إلى عربات القطار حتى بدأ رحلته التي تبلغ ٢٨ ميلا ليقطعها في ساعتين حيث سار القطار تدريجياً بضجته وصفاراته المعهودة وظل كذلك إلى أن بلغ سرعته القصوى التي تزيد قليلا عن عشرة أميال في الساعة .

كان خبر الرحلة قد وصل إلى جميع الأماكن على طول خط السكة الحديدية ، فخرج المزارعون من كل صوب واصطفوا على طول الخط منتظرين مرور القطار بأعناق مشرّبة ليلقوا نظرات على الضيوف العرب ، وعند مدينة جامايكا الصغيرة التي وصلها القطار قبيل الظهر ، كان هناك جمع كبير من الناس ، اخترقه أحمد وصاحبه الضابطان وسط ضجة كبيرة إلى فندق المدينة حيث أقيم حفل استقبال على شرفهم ، ثم ساروا عبر شوارع القرية الصغيرة إلى مزرعة ديبستر أوجدن التي أعجب أحمد كثيراً باتساع رقعتها . وفي أثناء زيارة المزرعة قدم أحد المزارعين باقة من الزهور إلى الضابط الأول عبد الله ، وكان من قبل قد تلقى باقة أخرى من الزهور من إحدى السيدات عند الهبوط من القطار ، وحيما

(م ٤ - سلطنة في نيويورك)

طالب منه رانشو على سبيل المزاح أن يلقي بهدية الورد القديمة لم يرص عبد الله عن ذلك ، بل ضمها إلى صدره بدلاً من إلقتها ، وقد أعجب الجميع بهذا التصرف .

وبعد أن غادر القطار قرية جامايكا بقليل توقف ثانية ، وهنا قال رانشو لأحمد ورفاقه : « لقد توقفنا لنسقي الحصان » ، فضحك أحمد استغراباً ولكن رانشو أخذ يشرح له حاجة غلاية القاطرة إلى الماء .

وقبل أن يصل القطار إلى هايكفيل بميل واحد وقف القطار ثانية ودعى أحمد صاحبه بصحبة نائب الحاكم فيسك لتفقد القاطرة وصعدوا إلى كابينة السائق كي يشاهدوا كيف تعمل تلك القاطرة الكبيرة ، ولكنهم لم يحمّلوا الحرارة الشديدة فيها فخرجوا إلى جانب الخط الحديدى ليروا عرضاً لسير القطار وسرعته ، وحينئذ سأل رانشو « هل يمكن لحيولكم أن تجرى بهذه السرعة ، فأجابه أحمد بغمزة من عينيه « نعم .. تستطيع » ، وصمت برهة ثم أضاف « لمدة دقيقة أو دقيقتين » .

وعند الوصول إلى هايكفيل كان فى الانتظار جمع حاشد آخر خرجوا لمشاهدة الضيوف العرب والترحيب بهم ، وكانت قد مدت مائدة كبيرة حافلة فى الفندق المركزى الكبير (سترال جرانداوتيل) أقامها جاكسون لتستوعب للجميع ، ولئن كان أحمد وأصحابه قد ساءهم وجود الخمور إلا أنهم استمتعوا بطعام لذيذ ، كما استمتعوا بصحبة

طيبة ، وكان سرورهم واضحاً ، ولكنهم أظهروه في رزانة وذكاء حسب ما ذكرت صحيفة لونغ آيلاند ستار ، وانتهى الحفل بأن شرب الجميع نخب الضيف العربي أحمد ورفاقه ، ووعد المضيف أحمد بأن يعطيه نموذجا للقطار ليأخذه معه إلى بلاده في رحلة العودة .

وفي رحلة العودة توقف القطار قليلا عند جامايكا ثانية في الساعة الخامسة حيث قدم عصير الليمون ، وواصل القطار رحلة العودة إلى بروكلين .

كانت الرحلة ناجحة وكان اليوم بهيجا بالنسبة لأحمد ورفاقه ، الذين عادوا محملين بباقات الزهور ، ولقد نشرت الميرالد تعليقا على زيارة الضيوف العرب معلقة على ما أحدثته من اهتمام شديد فقالت « أثار العرب منذ أن جاءوا إلى هذه البلاد الكثير من الاهتمام والعطف ، وقد شاهدوا كل شيء ، وزاروا أماكن كثيرة غمرتهم بمختلف أنواع الهدايا ، على أن ما رأوه لا يثيرهم للدرجة الدهشة إذ يبدو أن من طبيعتهم ألا يثير دهشتهم شيء ، غير أنهم قد أبدوا الرضاء على ما لاقوه من اهتمام ، وكانوا دائما على استعداد للتحديث وهم باسمون ، وأعينهم ناظرة إلى كل شيء باهتمام » .

كان العميد البحري مستر بلينج في مقابلة في نورفلك مع سكرتير الدولة بولدنج ، وكان قد تلقى من مستر بلينج خطابا فيه تعبير عن الأمل في أن تزد الولايات المتحدة الحميل الذي قدمه السيد سعيد عن طريق تكريم مبعوثه وضباطه على ظهر السفينة سلطنة .

ولقد أثارت الحالة السيئة للسفينة « سلطنة » عند وصولها فكرة رد جميل السيد سعيد الذى قدم من قبل مساعدة فى السفينة بيكوك وكان ذلك عن طريق فكرة ضرورة إصلاح « سلطنة » إصلاحاً شاملاً على نفقة حكومة الولايات المتحدة ، وعليه ففى ١٩ مايو طلب بولدنج سكرتير البحرية من رانشو أن يزوده بتقدير التكاليف اللازمة لإجراء الإصلاح الشامل للسفينة العربية سلطنة .

قدم رانشو التقدير المطلوب ولكنه كان يرى أن من الأفضل أن يتم إصلاح السفينة إصلاحاً شاملاً فى حوض البحرية الأمريكية ، ولذلك طلب مع تقديره أن يعطى التصريح اللازم ليأخذ السفينة إلى حوض البحرية لهذا الغرض . وفعلاً أعطى التصريح وقامت السفينة البخارية ويف بسحب سلطنة إلى حوض البحرية .

وبدخول « سلطنة » إلى حوض البحرية أصبح أحمد وضباطه ضيوفاً على الكابتن رانشو ، بينما أنزل طاقم السفينة على ظهر سفينة عادية راسية فى الميناء ، وفى خلال الشهرين اللذين قضتهما السفينة فى حوض البحرية كان العمال يؤجرون للقيام بالإصلاحات اللازمة فى سلطنة لتواصل رحلة العودة إلى وطنها ، وكان أفراد طاقمها يشاركون فى العمل بمهارة فائقة أثارت الإعجاب الشديد .

لقد أعيد طلاء السفينة بعد أن أصلحت جدرانها وقشرتها وغطاؤها وقد رمت الثقوب وجددت صواريخها وقواربها ، وأضيف لها حوض للمياه وبالوعة ومرحاض ، وعملت الترتيبات أيضاً

لإلحاق قارب نجاة بها ، وتكلفت كل هذه الإصلاحات نحو خمسة آلاف دولار ، وقد طالب القبطان الذى قاد السفينة إلى زنجبار بمبلغ آخر من المال نظير إصلاح تم أثناء رحلة العودة ، وإن لم يعثر على ما يثبت هذا . فقد ثبت فيما بعد أن تقدير التكاليف الخاص بالإصلاح كانت أقل بكثير مما كانت تحتاجه السفينة ، ومن ثم فإن بعض الأشياء قد تركت دون إتمام إصلاحها ، أو أصلحت على وجه غير كامل ، على أن السجلات البحرية تثبت أن كل ما كانت تحتاجه السفينة من جهد ومال لإعادتها لحالة الصلاحية قد بذلت إلى أقصى الحدود .

كانت لإقامة أحمد على الجانب الآخر من النهر فى منطقة ميناء البحرية الأمريكية فرصة نادرة لإبعاده عن أنظار الجمهور والأضواء المسالطة عليه ، فلم يغادر أحمد رفاقه والمكان إلا مرتين ، أولاهما لحضور حفل الاستقبال الذى أقامه حاكم نيويورك وتيام ستيوارد فى ٣ يونيه ، والثانية لمقابلة ريتشارد جونسون نائب الرئيس الأمريكى . وفى مناسبة الحفل الذى أقامه ستيوارد تقابل أحمد مع فيليب هون عمدة نيويورك السابق الذى وجد فى شخصية أحمد ما يستحق الإعجاب ، وعثر على ذلك فى مذكرات هون الشخصية فى حين لم يعثر فى مذكرات أحمد أى شىء يذكر عن هون .

وقرب نهاية يونيه كتبت جريدة الهيرالد « لقد بدت على أحمد علامات الارتياح والرضى ، إذ كان يجلس لمراقبة ما يجرى فى حوض الأسطول وهو يمشط ذقنه ، ويؤدى صلواته صبحاً وظهرأ

وعصرآ ومساءً وليلاً ، ويرتاح وقت الظهيرة كل يوم ، وفى أثناء إقامته هناك اتخذ مجلسه أمام الرسام المشهور مونى ، ليرسم له الصورة المشهورة التى اشتراها فيما بعد مجلس مدينة نيويورك بمبلغ ٥٠٠ دولار وذلك بعد مغادرة السفينة سلطنة نيويورك بأيام قليلة .

ولقد كانت هناك احتمالات عديدة عن قيام أحمد برحلات خارج نيويورك ، ففى ١٧ مايو اجتمع مجلس مساعدى الحكام وأخذت الأصوات على موضوع تعيين بعثة رسمية من ثلاثة أشخاص لتقوم بتقديم أحمد رسمياً إلى حكومة الولايات المتحدة ، وفى أواخر مايو نشرت الهبرالد أنه من المنتظر أن يقوم أحمد بزيارة الرئيس الأمريكى فى واشنطن ، ولكن لم يحدث شىء من هذا ، فلم يكن أحمد يحمل أى خطابات تفويض رسمية ، ولم يطالب أى مقابلة شخصية مع الرئيس الأمريكى . بل إن مهمته كانت مهمة عمل تجارية مع ميناء ومدينة نيويورك .

وبالإضافة إلى ذلك فقد وجد أعضاء مجلس مدينة نيويورك عدم وجود أى ضرورة لاقتراح مثل هذه الزيارة ، خاصة وأن فان يورين كان مشغولاً فى ذلك الوقت بحامته الانتخابية لإعادة إنتخابه للرئاسة ، وفضلاً عن ذلك فإن المناقشات العديدة التى جرت فى الكونجرس حول ما أشيع عن الهدايا الملكية كانت قد أغضبت الإدارة وجعلتها فى موقف يعارض ترتيب أى نوع من الزيارات . وألغيت أيضاً الزيارة التى كان مزعماً القيام بها إلى مدينة سالم

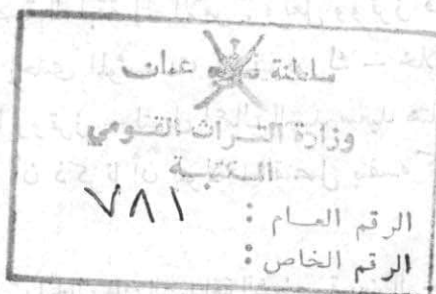
فى ماساشوستس لأن كل المحاولات لتنفيذها قد فشلت ، والحقيقة أنه لم يكن يعرف على وجه الدقة عما إذا كان القنصل ووترز الذى كان يقضى أجازته فى نيويورك فى ذلك الوقت كان على صلة بالمبعوث العربى أم لا ، ولما لم تكن هنا أية أخبار عن أى اتصالات من هذا النوع ، فان ما أمكن تخمينه هو أن ووترز كان فى ذلك الوقت فى شغل شاغل لتغيير شركائه فى العمل وإيجاد شركاء جدد ، مما جعل أحمد ينظر إليه بشئ من المرارة .

وهنا أيضاً — فى مثل هذه الظروف — يصبح من غير اللائق على أحمد أن يقوم هو بنفسه بزيارة ووترز ، وبخاصة إذا أضفنا الاتصالات الشخصية السابقة إلى الأمر . ولعل ووترز قد أغضبه أن يستعمل أحمد إحدى المؤسسات فى نيويورك — خلاف المؤسسة التى يعمل معها ووترز — لتولى أعمال السيد سعيد هناك بينما كان المتوقع لما سبق أن ذكرنا أن يتولاها القنصل بنفسه كما كانت النية مبيتة من قبل .

ومهما كانت الحال فإن الصداقة الشخصية بين الرجلين لم تنقطع بسبب هذا الموقف فى نيويورك بل أنها استمرت قائمة وتوطدت حينما عاد الرجلان إلى زنجبار .

ومن الأمور الهامة التى يجب ذكرها ، أن الترف قد استنزف أموالا طائلة ، وأن كشف حساب أحمد يبين أنه دفع بعض النقود مقدماً لبعض الضباط لتخضع من مرتبائهم البسيطة ، على أنه مما يدعو

إلى الارتياح هو أن أحد المقربين إلى أحمد وهو ضابطه الثانى محمد جمعه قد أظهر أثناء زيارته العديدة اهتماماً كبيراً بتطوير نفسه ، الأمر الذى لاحظته زوجة العميد البحرى الذكية ، فأمدته بالكتب وكانت تقضى معه أوقاتاً طويلة تدرس له ، وقد أظهر تقدماً سريعاً حتى أنه فى الوقت الذى غادرت فيه « سلطنة » ميناء نيويورك كان جمعه يقرأ الإنجليزية بطلاقة ويكتبها بخط واضح .



(٥)

حسابات الرحلة

على الرغم من انشغال أحمد بتلبية الدعوات وحضور الاحتفالات التي تقام لتكريمه في أمريكا والتي وجد نفسه غير قادر على احتمالها ، فقد كان دائم التفكير في المهمة التجارية التي أو فده فيها السيد سعيد ، ولحسن الحظ بقيت كشوف الحساب الخاصة بالرحلة حيث وجد الأصل لدى الشيخ سليمان عبد الله شيبان في زنجبار ، وقد أخذت صورة منها محفوظة في متحف يهودى فى سالم بماساشوستس .

ومهما يكن الأمر كان هذه الكشوف تعتبر وثيقة اقتصادية لها أهميتها ، إذ أنها تلقى الضوء على بعض الممارسات التجارية فى ذلك العصر ، وتعطى صورة واضحة عن الأسعار والأذواق التي كانت تسود تجارة زنجبار منذ أكثر من قرن من الزمان ، وهى تعتبر أيضاً وثيقة إنسانية هامة رغم ما تمتلئ به من أخطاء حسابية ومبالغات .

ويعتقد القبطان البحرى الأمريكى الذى أبحر على ظهر السفينة « سلطنة » فى رحلة العودة إلى زنجبار أن الكثير من المصاريف الشخصية الخاصة بأحمد وضباطه قد أدرجت فى كشوف الحساب كجزء من مصاريف نقل البضائع وتخزينها وتشوينها على أرصفة الميناء ، وغير ذلك من مصاريف غير مباشرة ، ولئن كانت هذه النفقات الشخصية مدرجة إلا أن الرقم المسجل تحت بند نفقات

الشحن والتفريغ لا يكشف شيئاً من ذلك ، إذ تبلغ كما تظهر في الكشف ٧٠,٣٧ دولاراً (سبعين دولاراً وسبعة وثلاثين سنتاً) وهو مبلغ ضئيل لا يحتمل أن يكون فيه أى مبالغة أو أن تكون قد أدرجت ضمنه أى نفقات أخرى .

هذا ، ولم تدرج أى نفقات نظير التخزين ، وإنما أدرج مبلغان كبيران تحت بند نفقات إقامة ، الأول بمبلغ ٢٧١,٣٠ (مائتان وإحدى وسبعون دولاراً وثلاثون سنتاً) ، والثاني بمبلغ ٣٠٠ دولاراً (ثلاثمائة دولار) ، ويمثل هذا الرقمان نفقات أحمد والضباط في الفترة التي لم يكونوا فيها ضيوفاً على البحرية الأمريكية ، وإن كانا يقيمان أثناءها على ظهر السفينة ، وقد استلقت هذان الرقمان نظر السيد سعيد وأخذ يدقق فيهما أكثر ، وكان من الصعب أن يتصور أحد أن أى نوع من الاختلال في الحسابات كبيراً كان أم صغيراً ، قد يفوت على السيد سعيد ونظراته الثاقبة ولكن الاختلافات في الكشف كانت طفيفة ، والتعديلات في كشف الحساب كانت تتمشى مع ما كان يجري في ذلك الوقت ، ومن ثم كانت متوقعة ومقبولة لدى السيد سعيد .

وعلى أى حال فإن الذين كانوا يعملون مع السيد سعيد كسكرتارين لم يكونوا يخصصون على مرتبات كبيرة ، ومثال ذلك أحمد الذي لم يستطع خلال خدمته الطويلة أن يجمع ثروة كبيرة ، فقد كان يملك عند عودته من رحلته إلى أمريكا ما يعادل ٢٤٢ دولاراً

فقط ، وقد حدث أنه بعد ذلك بأعوام قليلة وقع في أزمة مالية إذ كان يحتاج إلى مبلغ يعادل ٧٠ دولاراً ، هي عجز ما يملكه عن ثمن مزرعة أراد شراءها لأمرته ، ولم يستطع تدبير مبلغ العجز بسهولة .

أما عن البضائع التي حملتها « سلطانة » من مسقط وهي في طريقها إلى نيويورك فقد كانت ١٣٠٠ جوالاً من الباج و ٢١ بالة من السجاد الإيراني و ١٠٠ بالة من بن مخا ، وأضيف إلى ذلك في ميناء زنجبار ١٠٨ قطعة سن فيل و ٨١ حقيبة من الصمغ العربي المنظف نظيفاً جزئياً و ١٣٥ كيساً من القرنفل ، و ١٠٠٠ قطعة جلد مجففة غير مدبوغة من إنتاج جزيرة عبا ، ولم يكن من الأنواع الجيدة المعروفة .

وقد شحنت هذه البضائع لتصديرها للولايات المتحدة لحساب السيد سعيد ، على أن يشتري بثمنها بضائع أمريكية مصنعة تناسب احتياجات سوق زنجبار ومسقط أو مما يحتاجه الحاكم نفسه وما يحتاجه نجله الأمير السيد خالد لاستعماله الشخصي . وكانت معظم البضائع التي حملتها « سلطانة » مأتوفة في السوق الأمريكية ومماثلة لما كانت تحملها السفن الأمريكية من زنجبار فيما عدا السجاد العجيب الذي وصل لأول مرة .

وما يذكر أن القرنفل الذي حملته السفينة قد جاء من مزارع السيد سعيد الخاصة وكان قد أدخل زراعة هذا المحصول في جزيرتي

زنجبار ومبما ، وبالإضافة إلى هذه البضاعة الخاصة بالسُلطان فإن السيد خالد قد صرح بحمل قليل من البضائع لحساب بعض التجار المبرزين في مسقط وزنجبار مثل سعيد بن خلفان وجيرام بن سيوجي . واستجابة لما سبق أن اقترحه بو تسفورد فإن هذا البضائع كانت ستسالم إلى مؤسسة سكوفيل وبريتون في نيويورك ، التي كانت قد أخذت على عاتقها تولى أمور الصفقة ، ولكن عند الوصول إلى نيويورك واجه أحمد ما لم يكن يتوقعه من المشاكل في تسويق هذه البضاعة ، ذلك أن مؤسسة سكوفيل وبريتون كانت قد اشتهرت إفلاسها وأصبحت في أيدي أصحاب الديون ، وكان لابد أن يجد وسيطاً آخر بأسرع ما يكون .

وبموافقة لويد بريتون الشريك الوحيد في تلك المؤسسة التي أفلسَتْ اتجه أحمد إلى مؤسسة باركلاي ولفنجستون لتتولى العملية ، ورغم افتقار مؤسسة باركلاي ولفنجستون إلى الخبرة في تجارة زنجبار إلا أنها كانت تتمتع باحترام كبير بين بيوت الأعمال في نيويورك ، كما أنها كانت تتولى إلى جانب الأعمال الأخرى ، وكالة التجارة لمؤسسة لويد اللندنية .

ولقد أمكن التوصل إلى اتفاقية خاصة بالتوزيع على أن تقوم المؤسسة ببيع حمولة « سلطنة » من البضائع نظير عمولة تبلغ ٥% وأن تقوم بعمالية المشتروات نظير عمولة ٢,٥ في المائة ، وبناء عليه فقد نقلت حمولة السلطنة إلى مقر المؤسسة في ٢٦ شارع برو دواي

ثم قامت بالإعلان عنها في الصحف للمعاينة قبل الشراء يوم ٨ مايو ،
وأخذ جورج باركلي أحد كبار المساهمين في المؤسسة العملية على
عاقبه .

وكانت حركة تصريف البضائع مرضية ، إذ أن معظمها كان
قد ساء للحشترين قبيل نهاية يونيه ، وقد بيع القرنفل بسعر يتراوح
بين ١٩ و ٢٠ سنتاً للرطل ، أما الصمغ الذي كان يستعمل في صناعة
الطلاء والورنيش ، فقد بيع بسعر يتراوح بين ٢٣ و ٢٦ سنتاً للرطل
الواحد من النوع المنظف و ١٥ سنتاً للرطل من النوع الخام ، وبيع
التمر بسعر يتراوح بين ٣ و ٤,٥ سنتاً للرطل ، واشترى تجار
فيلادلفيا وبوسطن كميات من هذا التمر لإعادة تعبئتها ونقلها إلى
الأسواق الأجنبية .

وبيع العلاج بمبلغ ٧٥ دولاراً للسن الواحدة الكاملة ، أما البن
الذي وزعت بعض أكياسه كهدايا لبعض الأشخاص ، والسجاد
العجمي والجلود فقد كانت جميعاً بضاعة شبه راكدة أو غير مربحة
إلى حد ما ، فقد بقيت كميات من هذه السلع الثلاث لم تكن قد
سوقت قبيل رحيل « سلطنة » بوقت قصير وكان ذلك في أغسطس
فخفضت أسعارها نسبياً إذ بيعت القطعة من السجاد العجمي بما
يتراوح بين ٥,٥ و ٧ دولارات بينما بيعت القطعة من الجلد بمبلغ
١,٣ دولاراً ، أما البن فقد بيع أول الأمر بسعر ٢٠ سنتاً للرطل ،
ثم بيعت الكمية المتبقية منه بسعر ١٤,٥ سنتاً للرطل ، وبذلك بلغت
مبيعات بضائع سلطنة ٢٦٩٥٧ دولاراً .

وقامت مؤسسة لفنجستون وباركلاى بعد ذلك بشراء البضائع التى حملتها « سلطنة » فى رحلة العودة ، وتكونت هذه البضائع من ثلاثة مجموعات :

الأولى مجموعة من البضائع للبيع فى سوق زنجبار ، وهى من البضائع التى كانت تخضع للاتفاقية بين السيد سعيد وجيرام سيجى للقيام بتسويقها ، فكان يجب أن تأتى من خلال هذه المؤسسة المشار إليها ، نظراً لأن نسبة من أرباحها كانت تدخل خزانة السيد سعيد الشخصية ، وتتضمن هذه المجموعة من بين أصنافها : ١٢٥ بالة من القماش الرمادى اللون الذى يعرف فى زنجبار باسم « مريكانى » وقد اشترت بسعر يتراوح بين ٦ و ٨,٥ سنتاً للياردة المربعة . و ٢٤ مقطعاً من القماش القرمزى اللون بسعر ٨٧,٥ سنتاً للياردة المربعة للنوع العادى ، و ١,٢ دولاراً للياردة المربعة من النوع الممتاز و ١٣ كيساً من الخرز الأحمر والأبيض والأزرق بسعر دولار واحد للرطل ، و ٢٠ دسته من لوحات الطباعة بسعر يتراوح بين ١,٠٥ دولاراً ، و ٤,٥ دولاراً للدسته و ٣٠٠ بندقية من النوع الثقيل بسعر ٣,٤٣ دولاراً ، و ٢٥ كيساً من البارود بسعر ٢,٧٥ دولاراً للكيس ، و كمية من الأطباق الخزفية يتراوح سعر الدسته منها بين ٢٦,٥ سنتاً ودولارين ، وبلغت جملة هذه المشتريات ١١١٧٧,٥٦ دولاراً .

أما المجموعة الثانية من البضائع فهى أصناف تم اختيارها

خصيصاً للسيد سعيد ونجله السيد خالد لاستعمالهما الشخصي ،
فالسيد سعيد اشترى أربعة بنادق مزخرفة تكنفت الواحدة نحو
٧٠ دولاراً ، وكمية كبيرة من الشمع وعدة صناديق من خيوط
الذهب ، و ٢٠ رزمة ورق للكتابة ، وخمسين صندوقاً من السكر
المكرر ، وصندوقين من آنية الزهور ، وصندوق من زجاجات
العطور ، وعشر علب موسيقية ، وبعض الصابون الأحمر ، وكمية
مختارة من الزجاج الخاص وأطباق الخزف والمرايا ، هذا بالإضافة
إلى عدد من صناديق الحلوى واللوز وشراب الأناناس والبرتقال ،
وكيس من الفواكه المسكرة ، وقد بلغت قيمة هذه المشتريات
الخاصة بالسيد سعيد ٣٦٨١,٢٥ دولاراً .

أما المشتريات الخاصة بالسيد خالد فقد كانت أكثر تواضعاً
واشتملت على بعض المزايا والشمعدانات والزجاج واللمبات وبلغت
قيمتها فقط ٥٠٥,٨ دولاراً .

وكانت المجموعة الثالثة من المشتريات تمثل بعض المرايا التي
اشترى لسعيد بن خلفان ولبعض تجار زنجبار الآخرين السابق
ذكرهم ، ولما كانت قيمة البضائع الخاصة بهؤلاء التجار مما حملته
سلطانة غير كافية لدفع أثمان هذه السلع المشتراه لهم نقداً ، إقترض
أحمد ٤٧٣,٢٧ دولاراً لتغطية الفرق .

وبلغ الفرق بين المبيعات والمشتريات من البضائع والهدايا والسلع
الخاصة ٤٠٠٠ دولاراً هي صافي المكسب من المرحلة الأولى للرحلة

أخذها أحمد معه على شكل نقود فضية وخاصة من الدولارات الإسبانية التي كانت تعرف في ذلك الوقت بالريالات المغربية ، وكانت هي والقطع ذات الخمسة فرنكات هي النقود الفضية التي تمثل غطاء النقود الأمريكية ، وقد سدد عنها مبلغ ١١٦ دولاراً كرسوم استبدال ، واشترت خزانة خاصة لحملها فيها .

أما عن مصروفات الرحلة التي أنفقت بموجب إيصالات ، فقد كانت عالية نسبياً ، وبلغت جملة ٢٢٣٨,٢٩ دولاراً تشمل مصاريف الحمالين والوزن والتعبئة وغيرها من نفقات تفريغ البضائع التي أتت بها السفينة ، وتشمل أيضاً هذه المصروفات على العملة التي حصلتها عليها مؤسسة باركلي ولفنجستون ، وقد زعم سكوفيل فيما بعد أن مؤسسة باركلي ولفنجستون المنافسة قد ربحت ما بين خمسة أو ستة آلاف دولار من عملية بيع بضائع السلطنة .

وبالطبع فإن هذا الادعاء ما هو إلا مجرد زعم مرفوض طبقاً لما ورد في كشوف حساب أحمد التي تظهر فيها العملة التي سددت للمؤسسة نحو ١١٧٥ دولاراً ، وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك قائمة طويلة تشتمل على مصروفات السفينة ، وأجر الحراس ، والدمغات المقدمة على حساب مرتبات الطاقم ، والمبالغ الباهظة التي كان يدفعها سليمان كنفقات للطعام وغيرها مما كان يلزم دفعه .

وقبيل مغادرة السفينة السلطنة بوقت قليل استطاع باركلي ، باعتباره وكيلاً لمؤسسة لويدز اللندنية أن يقنع أحمد بشراء بوليصة

تأمين بحرية على السفينة لرحلة عودتها ، وهو عمل لم يكن السيد سعيد قد ألفه من قبل ، وبذلك بلغت جملة المصروفات المختلفة للسفينة ٣٠٦٢,٧٦ دولاراً . ومما يثير السخرية هو أن بعض هذه المصروفات كانت من نوع الخدمات التي أصر التجار الأمريكيون على استبعادها وفقاً للمعاهدة المعقودة بين الولايات المتحدة وعمان عام ١٨٣٣ مثل رسوم الإرشاد داخل الميناء ، ورسوم الوزن ، وغيرها مما لم تعف منه السفينة السلطنة في ميناء نيويورك .

ولعل إعطاء ما يخص لكشف الحساب الذي أعده أحمد يكون وسيلة لتوضيح الصورة ، وخاصة فيما يتعلق بالعناصر المختلفة لتكاليف المغامرة .

وعلى أي الأحوال يبدو أن أحمد وكذلك السيد سعيد كانا راضين عما تم ، وقد استمر السيد سعيد على علاقته التجارية مع تلك المؤسسة - مؤسسة باركلي ولفنجستون - وبخاصة بالنسبة لشراء البنادق وقطع غيارها .

(٦)

مسألة الهدايا

لم تكن المهمة التجارية هي الشيء الوحيد الذي كان يضطلع به أحمد في رحلته على السلطنة إلى نيويورك ، بل كانت هناك مهام أخرى استكمالاً لمهمته التجارية ، فقد كان مكثفاً بالقيام بمهمة المبعوث الرسمي أثناء تواجده بالولايات المتحدة ، وتتضمن هذه المهمة الرسمية تسليم رسالتين من السيد سعيد إلى الرئيس الأمريكي فلان يورين مؤرختين ٢٥ ديسمبر ١٨٣٩ ، وقد تولى سعيد بن خلفان ترجمة وكتابة الخطابين باللغة الإنجليزية ، ويعبر الخطاب الأول عن مشاعر الصداقة والمودة التي يحمنها السيد سعيد للرئيس والشعب الأمريكي . والثاني هو الرسالة التي صحبت الهدايا المرسلة إلى الرئيس ولو أن السيد سعيد تذكر أن روبرتس سبق أن رفض حمل الهدايا للرئيس الأمريكي لما فكر في إرسالها .

واشتملت هذه الهدايا على فرسين من فرسان السباق النجدية ، وعقد من اللؤلؤ ، وحببتين كبيرتين من اللؤلؤ ، الواحدة منها في حجم وشكل الكمثرى الكبيرة ، وحوالي ١٢٠ قطعة من الأحجار الكريمة الملونة اللامعة يبلغ وزنها ١٨,٢٥ قيراطاً ، وسبيكة من الذهب الخالص ، وسجادة حريرية فارسية الصنع ، وزجاجة من

عطر الورد ، وبعض ماء الورد ، وست عباءات كشميرية مطرزة
وسيف مرصع بالذهب .

وبناء على طلب أحمد قامت مؤسسة باركلي ولفنجهوسون نيابة
عن أحمد بتسليم خطاى السيد سعيد إلى الرئيس فى ٢ مايو ، وانتظرت
تلقى التعليمات الخاصة بتسليم الهدايا ، وبعد ثلاثة أيام كتبت المؤسسة
خطاباً ثانياً إلى الرئيس تذكر فيه أن أحمد سوف يضطر إلى العودة
بالهدايا إذا لم يقبل الرئيس تسليمها بنفسه .

وفى تلك الأثناء كان الفرسان النجديان قد أخذوا إلى حظائر
ترسال فى برو دواى حيث لقيا إعجاباً شديداً من كل من شاهدهما
هناك .

وفى ٥ مايو أرسل جيسى هوايت رجل الجمارك المسئول عن
ميناء نيويورك وكان معروفاً بأنه نفعى وانتهازى إلى الرئيس بخبرة
فيه بوصول السفينة السلطنة والهدايا القيمة التى أرسلها سلطان عمان
بشىء من النفاق ، ويهتبه فيه على ذلك ، ووصف فى خطابيه
الحصانين ، وتساءل عن كيفية التصرف فيهما ، وقال غامزاً أن
شميث تومسون قد يحتاج إليهما فى مزرعته ، ثم عاود الغمز قائلاً
أعتقد أن الرئيس لا يمكن أن يسمح بذلك ، وكان على حق إذ أن
الهدايا فى عرف حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن أن
تعطى لأى من الإداريين .
ولقد أحال البيت الأبيض هذه المراسلات إلى وزارة الدولة ،

وفي ٧ مايو كتب جون فورسيت إلى باركلي ولفنجستون مشيراً إلى أن الرئيس ممنوع من قبول الهدايا الشخصية ، ولذا فإنه يطلب من أحمد أن يفهم الأمر ويقدر الموقف ويسمح بالتصرف في الهدايا بطريقة أخرى تتفق مع رغبة سيده السلطان ، وأضاف أن الرئيس يود معرفة موعد مغادرة السلطنة حتى يكتب بنفسه رداً إلى صديقه السيد سعيد .

وبعد ثلاثة أيام أي في ٨ مايو سلم سكرتير الدولة فورسيت خطاب الرئيس الأمريكي إلى السيد سعيد ، وجاء في الخطاب قوله « لقد كان من دواعي السرور والرضى أن يقوم بين عمان والولايات المتحدة ما نوده دائماً من صلات مفيدة في مجالات متعددة » . وأضاف الرئيس الأمريكي في خطابه : « إن وصول سفينة تحمل علم سلطانكم ودخولها ميناء نيويورك لشاهد على الرغبة في إقامة هذه العلاقات التي نود أن تستمر بين بلدينا وتدوم .. » . وجاء في الخطاب أيضاً إشارة إلى أن الرئيس باعتباره موظفاً مدنياً في الدولة لا يستطيع أن يقبل الهدايا القيمة وأعرب عن تمنياته الطيبة بالصحة والسعادة لحلالة السلطان ، والقوة والمتعة لحكومة عمان والسعادة والاستقرار لشعبها .

وعلى الرغم من اللهجة الشديدة التي عبر بها أحمد عن موقفه بالنسبة للهدايا فقد أدرك مؤخراً أنه لا يمكن عملياً أن يعود بالهدايا إلى زنجبار وبخاصة الخيول ، ولذا فقد كتب ثانية إلى سكرتير الدولة

فورسيت في ١٤ مايو عن طريق باركلي ولفنجنستون يذكر أنه سوف يقدم خطاب الرئيس إلى السيد سعيد عند العودة ، وأوضح في خطابه أن السيد سعيد ألم يكن على علم بالصعاب المتعلقة بقبول الهدايا ، وأضاف في خطابه أنه يشعر بثقة كاملة في أنه يكون قد نفذ أوامر الإمام إذا ما اعتبرت الهدايا مقدمة إلى حكومة الولايات المتحدة ، وطلب إلى الرئيس أن يتفضل باتخاذ اللازم نحو قبولها على هذا النحو .

وبارسال هذا الخطاب أصبح أحمد في الجانب السليم فقد قدم النصيحة وأصبح يأمل أن يسمح له بتسليم الهدايا لممثل الحكومة الذي سيعين لذلك .

وهنا وضع الرئيس الأمريكي في موقف حرج بالنسبة لموضوع الهدايا وكيف يمكن التصرف فيها ، خاصة وأن عنصراً آخر هاماً قد أضيف إلى المشكلة ، وهو أن ملك مراكش كان قد أرسل أسدين هدية للرئيس الأمريكي ، وكان من المتوقع وصول السفينة التي تحمل تلك الهدية إلى ميناء نيويورك يوم ٢١ مايو .

هنا وجد الرئيس الحل في إحالة كل المراسلات إلى الكونجرس مقترحاً أن يصدر تشريع خاص بذلك ينص على الطريقة التي يمكن بها للموظف التنفيذي أو عضو الهيئة التنفيذية أن يواجه بها مثل هذه الأمور في المستقبل في حالة إذا ما قدمت إحدى الدول الأجنبية هدايا للحكومة أو لأحد من أعضاء هيئاتها التشريعية أو التنفيذية ،

أو إلى ممثلى الحكومة فى الخارج دون أن يؤدى الرافض إلى الوقوع فى الحرج السياسى .

ولقد كانت هناك سوابق مماثلة ، ولكن بالنسبة للهدايا مقدمة لموظفين تنفيذيين أقل درجة ، ولو أن الكونجرس تردد كثيراً فى إصدار تشريعات تتعلق بهذا الأمر إلا أنه قد قرر فى سابقة مماثلة عام ١٨٣٥ أن تباع الهدايا بالمزاد العلنى ، وكانت تلك الهدايا هى عدد من الخيول كان قد قدمها ملك مراكش للتفصيل الأمريكى فى طنجة ، وكانت الخطوة التالية هى إيداع ثمنها فى الخزنة ، إلا أن الموقف بالنسبة للهدايا المقدمة للرئيس ، ظل دون أن يستقر عليه رأى .

قدم جونسون نائب الرئيس الرسالة إلى مجلس الشيوخ فى ٢٥ مايو ١٨٤٠ ، وحول مجلس الشيوخ الموضوع فوراً إلى لجنة العلاقات الخارجية لبحثه ، وبعد أيام قلائل أعلن السناتور جيمس بيوكانان ممثل بنسلفانيا ورئيس لجنة العلاقات الخارجية حلاً بسيطاً للغاية ، يحول للرئيس قبول الهدايا على أن يسلمها أو يسلم ثمنها للخزنة بعد بيعها ، وطلب مجلس الشيوخ فى أول يولية بعد إقرار التوصية أن تعرض على مجلس النواب لإقرارها .

على أن مرور القرار فى مجلس النواب كان أمراً مثيراً للعواصف من المعارضة والنقاش الطويل ، وكان المجلس قد أحال المكاتبات جميعاً إلى لجنة العلاقات الخارجية بمجلس النواب للدراسة ووضع

هذه اللجنة أمامها قرار مجلس الشيوخ بعد بدء عملها بأيام ، ثم خرجت في ٩ يونية باقتراح معدل ، ألغيت منه عبارة إيداع القيمة النقدية في الخزانة واستبدلت بذلك اقتراح لتوزيع الهدايا على النحو التالي : فالسيف يودع في وزارة الدولة ، أما حصينة بيع بقية الهدايا فتقسم بين المؤسستين الخيريتين اللتين كانتا تعملان في نيويورك في ذلك الوقت .

جاءت هذه المقترحات كمحاولة لتجنب الدخول في خلاف دستوري يتمثل في موضوع إيداع أموال من غير حصيلة الضرائب في خزانة الدولة .

وأصبح من المتوقع بهذا أن تتم الموافقة على هذه التوصيات المعدلة ودخل في الموضوع خصم جديد معارض لم يكن في الحسبان هو « جون آدمز » الرئيس السابق الذي كان يمثل دائرة ماساشوسيتس وكان يبلغ من السن ٤٧ عاماً ويعانى من كسر في عظام الكنف ، وقف بمجرد أن بدأ رئيس المجلس طرح الموضوع للمناقشة وقاطعه طالباً الكلمة ، وقال : إنه لم يسبق للكونجرس أن وافق على السماح بقبول مثل هذه الهدايا من الدول أو القوى الأجنبية ، ثم ذكر أن توماس بيكلى قد منع من قبول الهدايا عام ١٧٩٨ حينما كان يقوم بالتفاوض مع أسبانيا ، وطالب بعدم الموافقة على القرار ، وقد أدى ذلك إلى إعادة الموضوع إلى لجنة العلاقات الخارجية .

ومضى شهر كامل ، قام مؤيدو القرار أثناءه برسم استراتيجيتهم

فطلب آدمز أن يعيد النظر في اعتراضه ، ورغم أنه كان من أشد المعارضين لحكم فان يورين ، فان اعتراضاته لم تكن من قبيل المعارضة ولكن كان همه في هذه الواقعة يتجه كلية إلى اعتقاده في أن مرور مثل هذا القرار بقبول الهدايا قد يكون سابقة سيئة يستمر على أساسها قبول الهدايا . وفي محاولة للتمشى مع هذا الرأي اقترحت اللجنة في ٧ يولييه صياغة جديدة بحيث لا تشتمل على عبارة قبول الهدايا ولكن عبارة « تسليم الهدايا » ، وظل آدمز لمدة ثلاثة أيام من ٧ يولييه إلى ٩ يولييه متمسكاً بمعارضته حتى كاد الاشتباك ينشب بين الأعضاء بسبب هدايا السيد سعيد .

ولقد تصدى مؤيدو مشروع القرار بقيادة عضو الكونجرس عن دائرة كارولينا الجنوبية فرنسيس بيكنز ، الذى ذكر أن آدمز قد بالغ بصورة غير مقبولة في مفهوم الهدايا ، وقال : « إننا جميعاً متفقون على منع أى عضو في الهيئة التنفيذية أو الحكومة من قبول هدايا من الدول الأجنبية ، غير أن الهدايا في مثل هذه الحالة التي بين أيدينا لم يقصد بها إلا إظهار الاحترام والتعبير عن الصداقة وحسن النية تجاه حكومة الولايات المتحدة وشعبها ، وإن كرم السيد سعيد وشهامته التي عرفناها في موقفه من الحادث الأليم الذى حدث للسفينة بيكوك لا يمكن أن يقابل بتصرف يتم عن الجحود برفض هداياه ، وذكر مؤيدو القرار أيضاً أن هناك سابقة الكونجرس الأمريكى في محاولة لمعالجة موقف مماثل ، وهى التصريح للرئيس بقبول ميدالية من رئيس جمهورية كولومبيا .

رفض المعارضون بقيادة آدمز هذا الرأي الأخير بحجة أن المجلس لم يسبق له أن سمح لأى من أعضاء الهيئة التنفيذية بقبول هدايا من دول أجنبية وذكر أنه فى الفترة من عام ١٧٩٨ إل عام ١٨٣٤ كان هناك رفض بات لقبول مثل هذه الهدايا ، وأن سابقة ميدالية كولومبيا لا يمكن اعتبارها سابقة لمثل هذا الموضوع ، وأن السماح بقبول الهدايا سوف يوجد سابقة غير مرغوب فيها ، كما أن بيع الهدايا فى نفس الوقت دون إعلان قبولها يعد تصرفاً غير أخلاقى ، ومثل هذا التصرف قد يؤدى إلى إثارة غضب السيد سعيد بدرجة أكبر .

وفى الثامن من يوليه نجح مؤيدو آدمز من خلال مناورة برلمانية فى إسقاط الاقتراح ، وقد تهلل آدمز ورفاقه ، وأعلن آدمز أن مجلس النواب سوف يغير اتجاهه قريباً ، وكان توقعه صحيحاً ، وذلك هو ما حدث فى مجلس الشيوخ حتى قبل إبلاغه بإسقاط الاقتراح ، إذ استطاع ناثان كليفورد عضو الكونجرس عن دائرة ماين أن يسترد القرار من كاتب المجلس ، لكى يعيد إثارته فى الاجتماعات ، ولما لم يستطع كاتب المجلس أن يرسل الموضوع مستكملاً إلى مجلس الشيوخ من فوره طبقاً للوائح المعمول بها فى البرلمان الأمريكى فان التصرف هو أن يوضع الكتاب تحت المراقبة .

وباستخدام كل وسائل المناورات البرلمانية لتهدئة الموقف

والمناقشات ، قبل آدمز ما لم يكن يقبله من قبل ، وهو إصدار القرار بعد إعادة تعديله بايداع حصيلة بيع الهدايا في خزانة الدولة ، ثم في نهاية الأمر عدل بحيث لا يمس أحداً بصياغته على أنه قرار مشترك من المجلسين من أجل زيادة إيرادات الخزانة عن طريق بيع الهدايا التي قدمت للولايات المتحدة من إمام زنجبار وملك مراكش ، وهكذا هزم أصحاب الرأي بقبول الهدايا ، وقبل هذا التعديل الذي أدخله مجلس الشيوخ ووقعه الرئيس في ٢٠ يولييه .

ويبدو أن أحمد لم يفهم التعديلات التي صحبت مناقشة موضوع الهدايا التي أحضرها ، إلا أنها على كل الأحوال لم تؤخذ على أنها نوع من عدم الاحترام أو سوء التقدير للسيد سعيد ، بل على عكس ذلك فانه في خلال المناقشات على سبيل المثال اقترح هوارس إفريت عضو الكونجرس عن دائرة فرمونت أن تؤخذ على أنها تعويض عن إصلاح السفينة « السلطنة » على نفقة الولايات المتحدة مع تقديم هدايا مقابلة للسيد سعيد الذي وصفه في كلمته « بالأمير ذي العقل الراجح » .

ومثال آخر ما أعلنه ألكسندر دانكان عضو الكونجرس عن دائرة أوهايو في اجتماع ٢١ يولييه من أنه سوف يقدم في الجلسة التالية اقتراحاً بأن ينحول الرئيس الأمريكي ساطة إهداء حاكم مسقط مركباً شراعياً حربياً ذا شراع واحد ، ولئن لم يوجد ما يشير إلى تقديم مثل هذا الاقتراح ، إلا أن الفكرة في حد ذاتها كانت نعم عن

الاحرام البالغ ، والتقدير الذى اكتسبه السيد سعيد فى أوساط
الأمريكيين .

وبناء على القرار أصبح من الممكن أن تتسلم حكومة الولايات
المتحدة الهدايا ، وأخذت إلى واشنطن حيث أودعت معظمها فى
مبنى وزارة الدولة ، ثم نقلت إلى مكتب براءات الاختراع القديم
حيث عملت الترتيبات اللازمة لبيعها بالمزاد العلنى فى صالة ذلك
المكتب فى يوم ٤ أغسطس ١٨٤٠ .

وكانت الخيول تنقل كل يوم إلى أرض السباق لعرضها على
الراغبين فى شرائها لتحسين نسل الخيول الأمريكية ، وتم البيع
بمعرفة خبير المزادات المشهور إدوارد دواير فى اليوم المحدد ، وقد
بيع الحصان الرمادى الفاتح بمبلغ ٦٥٠ دولاراً واشتراه ل. م. بويل
الفرجينى ، وبيع الآخر الغامق اللون بمبلغ ٦٧٥ دولاراً واشتراه
الجنرال جون إيتون من نيسى وكان مشهوراً باسم بيجى إيتون ،
وكان هذا الاسم قد أطلقه عليه رئيس أسبانيا حينما كان يشغل
منصب وزير فى الولايات المتحدة ، وبعد خصم حساب خبير
المزادات والتكاليف الأخرى أودع فى الخزنة مبلغ ٩٩٣,٢٨ دولار
كحصولية بيع الهدايا .

الاستعداد للعودة

مضى شهر يونيه ، ومضت أيام من شهر يوليه وقاربت مهمة أحمد على الانتهاء ، وكذلك كاد العمل في إصلاح « السلطنة » ينتهى ، وأصبح من الممكن لأحمد أن يعد خطته لرحلة العودة ، وكانت الرحلة تحتاج قبل كل شيء إلى ربان جديد إذ لم تكن علاقة أحمد بسليمان على ما يرام ، بل أن تلك العلاقة قد ساءت منذ وصول السفينة إلى نيويورك نتيجة لتصرفات سليمان بالنسبة للبحارين اللذين كانا من أصل فرنسي ، فقد اختلف معهما ، وقرر تخفيض رتبتهما ثم فصلهما من العمل أخيراً دون الرجوع إلى أحمد أو استشارته .

وفضلاً عن ذلك فقد كان طاقم السفينة لا يكن لسليمان أى احترام ، فأصبحت رحلة العودة مستحيلة تحت رئاسته لما قد يسببه من مشكلات . وذكرت صحيفة الهيرالد أن أحمد كان يصف سليمان بأنه رجل سيء ، ويود التخلص منه ، وأنه شغوف بأن يتخذ للسفينة قبطاناً أمريكياً ليقود السفينة أثناء رحلة العودة . وبعد أيام قلائل ترك سليمان خدمة السفينة وغادرها إلى لندن بعد أن حصل على مبلغ مقدم من مرتباته لتغطية نفقات رحلته .

اتصل أحمد عن طريق باركلي ولفنجستون بالكابتن ساندهوتش
درنكر الذى كان يقطن فى ١٠١ نورث ستريت بفيلاديلفيا فى
محاولة لتكليفه بمهمة قيادة السفينة فى رحلة العودة ، وكان درنكر
هذا شاباً فى الثانية والثلاثين من عمره ، ورغم هذا السن الصغير
كان حتى ذلك الوقت قد سجل أعمالاً بحرية ممتازة ، آخرها أنه
قد عاد منذ شهور قلائل من رحلة بحرية طويلة ، وأخبر عند عودته
من هذه الرحلة أن السيد سعيد يود إقامة علاقات منتظمة مع نيويورك
وقد كان السيد سعيد يأمل فى أن يضع إحدى سفنه الكبيرة حمولة
٦٠٠ طن تحت تصرفه على أن يقودها درنكر ، على خط تجارة
دائم مع نيويورك .

كان العرض المقدم من السيد سعيد للكابتن درنكر عرضاً مغرياً
خاصة وأن درنكر كان قد تزوج حديثاً وأصبح فى حاجة إلى مزيد
من المال لإعالة أسرته ، فقبل العرض بقيادة « السلطنة » فى
رحلة العودة .

ورغم أن الإصلاحات التى كانت جارية فى السفينة لم تكن
قد انتهت بعد فإن القاطرة البحرية التجارية المسماة روفوس كنج
قامت بناء على الأوامر الصادرة لها بقطر « السلطنة » من حوض
البحرية إلى حوض آخر فى مجرى النهر الشمالى على بعد قليل من
رصيف ركتور ستريت ، وهنا حدث أن فر سبعة من طاقم السفينة
يقال أنهم من الرقيق الذين كانوا قد تأثروا بنشاط القائمين بحركات

تحرير الرقيق في أمريكا ، وكان المعتقد أنهم اختبأوا في مكان ما بالمدينة ، ولم يمكن العثور إلا على واحد منهم فقط ، ومن الغريب أن الصحف المنادية بتحرير العبيد في نيويورك تجاهلت السفينة السلطانية تماماً رغم العدد الكبير الذي كان على ظهر السفينة من الزنوج الإفريقيين ، وليس من شك في أن أخبار المعاملة السيئة لطاقم السفينة قد تسربت من جانب بعض المؤيدين لحركة تحرير الرقيق في الميناء . وربما كان تجاهل مسألة الرقيق على السفينة « السلطانية » يرجع إلى طغيان أخبار السفينة « سارة آن » التي أرغمت على الاتجاه إلى ميناء نيويورك قبل وصول السلطانية بأيام قلائل نتيجة لاتهمها بنقل الرقيق .

ومهما يكن من أمر فإن فرار عدد من طاقم « السلطانية » قد أدى إلى اتخاذ مزيد من الاحتياطات لكي لا يتكرر الهروب خاصة وقد اقترب موعد رحيل السفينة ، فعز إثنان من رجال البوليس مرة أخرى لحراسة السفينة منذ ٥ أغسطس لمراقبة تحركات الطاقم ، غير أنه في يوم الرحيل نفسه وبمجرد أن غادر رجلا البوليس السفينة قفز إثنان من البحارة من على ظهر السفينة إلى الماء ، ولكن البوليس أعادها تنفيذاً لقرار منع أى عملية فرار من سفن الدول الصديقة التي تتعامل مع الولايات المتحدة على أساس من إتفاقية مصدق عليها .

وباقتراب يوم مغادرة « السلطانية » لميناء نيويورك عاود الرأي العام الحديث حول موضوع الهدايا التي يجب أن يرسلها الرئيس

الأمريكي إلى السيد سعيد ، وكانت جميع المحاولات بالحصول على موافقة الكونجرس على إنفاق خمسة آلاف دولار لإصلاح السفينة وإرسال الهدايا قد فشلت ، ولكن المبلغ دبر في النهاية بطريقة غير معلنة وربما كان المصدر هو وفورات ميزانية الوزارة البحرية التي استطاعت الخزانة في هذه الظروف الخاصة أن تنقله إلى اعتمادات أخرى تتصل بنفس البند .

ومما أثار الدهشة أكثر أن زورق نزهة طوله ٣١ قدماً وعرضه ٤ أقدام و ٨ بوصات وعمقه ٢١ بوصة ، صنع خصيصاً بمعرفة الإخوة كرديوس في نيويورك بناءً على أمر شخصي من ج. س. لفنجستون وكيل البحرية ، وقد عرض هذا الزورق في وول ستريت يوم ٧ يوايه ، وكان حسب ما وصفه المشاهدون مصنوعاً بدقة متناهية من أرق أنواع خشب السدر ، وقد طابت جوانبه بأحسن أنواع الطلاء ، وكانت إطارات فتحات المدافع وحاملات المجاديف وذراع الدفة وقاعدتها ، وحاملات المظلة جميعاً مغطاة بمعدن فضي لامع .

أما أرضية الزورق فقد غطيت ببساط أحمر قاني ، وكانت المظلة مركبة بحيث تغطي كل أجزاء الزورق ومصنوعة من قماش كتاني محاط من أطرافه بحريير أزرق وفوق المقاعد وضعت وسادات من الساتان الأبيض ، وكانت الحبال كذلك مصنوعة من خيوط حريرية زرقاء .

وقد قيل ، إن هذا القارب قد تكلف ألفى دولار ، وكان الإعجاب به شديداً حتى إن جريدة الإخوة جوناثان قالت في تهكم « لعله أفخم وأفخر قارب » ، ولشحن القارب مع السلطانة عمل له خصيصاً صندوق معدني من الصفيح لربطه بالسفينة فيمنع عنه الصداً وتسرب الماء إليه .

ولما كان يعرف عن ولع السيد سعيد بالأسلحة فقد أمر الرئيس الأمريكي أن يكون من بين الهدايا المرسلة إليه مجموعة من الأسلحة النارية ، وبناء عليه فقد قام محل كلوب لبيع الأسلحة الكائن في ١٥٥ برودواي بتسليم أربعة مسدسات فخمة من الموجني ، لكل منها خزان يحمل خمس رصاصات ، وكذلك ثمانى بنادق من ذات الخزان الذى يحمل ثمانية رصاصات ، وكان طول ماسورة المسدس ثمانية بوصات وجسمها مطعم بالأصداًف ، أما البنادق فكانت من خشب الموجني السوداء ، وقد نقش على الأسلحة وعلى أغطيها أيضاً باللغة العربية عبارة « هدية من رئيس الولايات المتحدة إلى إمام مسقط » وأرسلت مع هذه الأسلحة مجموعة من قطع الغيار المختلفة والذخيرة اللازمة .

وأكملت هدية الرئيس الأمريكي مرأتان ثمينتان ، وبعض الشمعدانات المزخرفة الفاخرة وكانت قد اشترت من محل اندرود الكائن في ١٨٦ فلتون ستريت وهو معروف بتحفه الثمينة الغالية ، وكانت المرأة من أكبر حجم صنع في الولايات المتحدة ، طولها مائة بوصة وعرضها ٧٢ بوصة ، وهى تناسب قصور السيد سعيد .

وبالإضافة إلى هذه الهدايا وصلت للسيد سعيد بعض الهدايا الشخصية من الأمريكيين وبعض الهبات ، مثل جمعية الكتاب المقدس في نيويورك فقد قدمت ترجمة عربية من الكتاب المقدس إلى السيد سعيد (وكان قد تلقى نسخة من قبل من الكابتن أوين عام ١٨٢٤ قبيل أن تحدث حادثة ممباسة) . وأعطيت أيضاً نسخة شخصية لأحمد ، كما أرسل محل الأدوية المشهور أوستن تشيرمان الكائن في ١٠٦ ناساو ستريت صندوقاً معدنياً كبيراً مملوئاً بخمسين علبة من إنتاجه المشهور من أنواع الحلوى الطبية المعروفة ، وكان ذلك من قبيل الدعاية لإنتاجها ، ومن هذه الأنواع ما هو ضد ديدان البطن والصداع والحموضة ونزلات البرد وغيرها ، وقد علقت صحيفة الإخوة جوناثان على هذه الهدية بقولها « إذا لم تؤد هذه إلى إنعاش جلالته فانه يكون في غير حاجة إليها أو أنه يكون قد شفى من كل الأمراض قبل استعمالها » .

ولقد بدأت الترتيبات النهائية لإبحار السفينة « السلطانة » في رحلة العودة ، وفي اليوم الخامس والعشرين ربط فيها الصندوق الذي يحتوي على القارب ، وبدأ تحميل البضاعة بعد ذلك ببضعة أيام ، غير أنه حدث في يوم ٣ أغسطس ما لم يكن في الحسبان ، إذ هبت عاصفة عاتية وصرقتها الهيرد بأنه لم يسبق أن شهدت نيويورك مثلها أبداً ، ولا يذكر أقدم السكان في هذه المنطقة أن سبق حدوث مثلها في حياتهم .

استمرت الريح والبرق لمدة عشر ساعات متصلة دون انقطاع أو توقف ، وفي الساعة السادسة مساء سقطت صاعقة فوق السفينة فهزت جسم السفينة وصواري المؤخرة هزاً عنيفاً ومرت منها عبر المؤخرة فكسرت الطرف المرتفع فيها وانتهت إلى الصندوق المعدني الذي وضع فيه القارب فشقتة نصفين ، وأصيب في هذا الحادث محمد عبد الله الضابط الأول وإثنان أو ثلاثة من البحارة ، ولكن كانت إصاباتهم غير خطيرة ، ولحسن الحظ لم يكن البارود قد حمل على ظهر السفينة بعد ، وإلا لأدى إلى كارثة انفجار ضخمة. ولقد تأثرت بالعاصفة أكثر من اثنتي عشر سفينة كانت راسية في الميناء ، كما أن الكثير من المباني بما فيها كنيسة سانت بول ، قد أصيبت بالدمار نتيجة للعاصفة .

ولما علم عميد البحرية رانشو بالحادث أرسل من فوره مجموعة من الرجال من البحرية للمساعدة في إصلاح الدمار ، وبمساعدهتهم أمكن للسفينة أن تعود إلى حالتها وتصبح معدة للرحيل خلال يومين. وفي السابع من أغسطس أتمت السلطنة الإجراءات الجمركية للإبحار إلى مسقط وزنجبار ، وكان بخارتها قد انخفضوا إلى ٧٤ بحاراً من بينهم أربعة أمريكيين لم تذكر أسمائهم ، كان درنكر قد عينهم ملء الوظائف التي شغرت نتيجة لمغادرة بعض البحارة ، وكان هناك مسافر هام سيصحب الرحلة هو وليم روترز شقيق القنصل ووترز وكان يطلق عليه أستاذ الدين .

وبعد يومين ، وفي صبيحة التاسع من أغسطس قام القارب البخارى هر كيولس بقطر السلطنة خارج الميناء إلى اللسان الرملى ، وكان أحمد بعثليته الاقتصادية قد عارض فى أن تقطر السفينة ما دامت هناك ريح غربية منتظمة لتوفير تكاليف القطر البالغة ٦٢ دولاراً ، ولكن درنكر أوضح له أن السفينة لا يمكن أن تخرج من الميناء دون قطر .

وخارج منطقة الحجر الصحى مرت « السلطنة » بالسفينة التجارية الضخمة جريت وسترن التى كانت تعتبر مفخرة الأسطول الذى يعبر الأطلسى ، وأطلقت « السلطنة » ثلاثة صفارات تحية للملكة البحار ، وردت جريت وسترن على التحية بمثلاً ، وبدأت رحلة العودة .

(٨)

في رحلة العودة

قام درنكر بكتابة مذكرات عن الأحداث اليومية ، وعن خواطره طوال الرحلة ، ومن هذه المذكرات توجد نسخة محفوظة لدى أسرة درنكر ، وتعتبر هذه المذكرات من السجلات ذات القيمة الكبيرة التي تعطي صورة عن الحياة على ظهر السفينة ، ولعل قيمتها تزيد أكثر حينما يأتي اليوم الذي تنشر فيه ، وتعتمد هذه الدراسة على مذكرات درنكر في كثير من أجزائها .

كان درنكر قد وضع خطة الإبحار بحيث يتجه بالسفينة اتجاهاً شرقياً مباشراً لأقصى مدى يمكن أن تبلغه قبل أن ينحرف بها شمالاً بشرق مع اتجاه الرياح التي تسود في المنطقة المحصورة بين خطي عرض ١٢ و ٢٨ درجة شمالاً . ولكن واجهت « السلطانة » متاعب جوية كبيرة أكثر بكثير مما كان منتظراً ، إذ تعاقبت فترات من الرهو (أو السكون الشديد في الرياح) مع هبات عاصفة مفاجئة من رياح مضادة ، حتى أنه حدث مرتين أن كانت الأشعة تقتلع من صواربها لولا سرعة التصرف بتحويل إتجاه الأشعة إلى الاتجاه المضاد لاستيعاب الرياح العاصفة .

ولقد اجتازت السفينة منطقة الرياح الشمالية الشرقية دون أن تهب أى رياح مساعدة بل إن رياح الجنوب الشرقي كانت تدفع

السفينة أكثر في اتجاه الغرب فتبعدها عن الخط المعتاد لطريق رأس الرجاء الصالح .

هذا ولم تلتق « السلطانة » في طريقها بأى سفينة أخرى غير التى قابلتها يوم المغادرة سوى السفينة جون كالبن التى كانت قد غادرت كانتون فى الصين منذ ١٧ يوماً متجهة إلى نيويورك ، وقد مرت بها « السلطانة » فى عرض البحر يوم ٩ سبتمبر ، وأرسل لها أحدهم مقداراً من البطاطس والتبغ وجوالاً من التمر لتقدير أحوالها وإدراكاً للحالة الطويلة التى قطعتها .

وإلى جانب صعوبات الجو يذكر درنكر صعوبة أخرى هى عدم تحمس ضباطه ومساعديه للعمل ، وقد كتب يقول : لقد وجدت نفسى أعمل قائداً ومساعداً وكل شئ آخر ، فقد تبين أن أفراد الطاقم غير متحمسين وغير متعاونين ، الأمر الذى أرجعه درنكر لسوء الإدارة التى اعتادوها منذ كان سليمان الإنجيزى ضابطاً أول للسفينة . وعاد فذكر أنه قد أمكن استثارة حماس البحارة نتيجة لتصرف حسن اتخذاه أحمد ، فقد منحهم يوم الجمعة كأجازة للراحة مما شجعهم على العمل ببقية أيام الأسبوع .

على الرغم من ذلك فإن درنكر لم يجرؤ أن يعترف بأن سيطرته على طاقم السفينة كان كاملاً وفعالاً ، وقد سجل فى ٩ سبتمبر يومياته مصوراً حالة طاقمه على النحو التالى :

« قضى الضابط الأول محمد عبد الله معظم الوقت وخاصة فى

الأساييع الأولى نائماً وكأنه قد تحول إلى جثة هامدة ، أما ابن نعمان فلم يكن بحاراً محترفاً لذا لم يشأ درنكر أن يتركه وحيداً على ظهر السفينة ، وكان الشخص الوحيد الذى استحق التقدير من جميع الضباط والبحارة هو الضابط الثانى محمد جمعه ، فرغم أنه كان يعاني من ألم فى إحدى قدميه نتيجة لإصابته فيها بدودة غينيا ، ورغم أنه كان يضع الضمادات عليها من وقت لآخر ، إلا أنه كان الوحيد الذى كان يتبادل قيادة السفينة مع درنكر طيلة الليالى والأساييع التى قضتها السلطنة فى عرض البحر . وكان درنكر قد عرف عنه الطموح والرغبة فى التقدم قبل مغادرتهم نيويورك فأحضر له كتاب بوديتس الملاح العملى ، والذى أمكنه أن يستوعبه لدرجة جعلته قادراً على أن يعلم البحارة الآخرين مبادئ الملاحة البحرية .

اعتاد درنكر وجمعه أن يقوموا سوياً كل يوم بقياس انحراف الشمس لتحديد خطوط الطول والعرض ، وقد تدرب جمعه على ذلك حتى أصبح قادراً بعد مدة أن يقوم وحده بتحديد موقع السفينة بدقة متناهية ، مما أسعد درنكر كثيراً فكتب معلقاً على ذلك بقوله : « إنه شخص كفء ويتميز بعقلية واعية نادرة مما أسعدنى كثيراً » وأضاف : « إن جمعه فى الواقع هو من أحسن الشخصيات التى التقيت بها فى حياتى وأصبح له مكانة حب كبيرة عندى » ... ولما كان درنكر لا يجد جمعه دائماً فى الحالات الجوية السيئة التى يتعرض لها أثناء دورة فى القيادة ليرجم له الأوامر إلى الطاقم ،

فقد اضطر إلى أن يتعلم أسماء الأشياء المهمة وبعض الأوامر المتعددة بألفاظ اللغات التي يتكلمها أفراد الطاقم ، وهى لغات متعددة ، فالى جانب العربية يوجد من كان لا يعرف إلا السواحلية أو لغة الحجراتى الهندية أو اللغة الملايوية .

ولقد تضايق كل من درنكر ووترز من الحيز المحدود على ظهر السفينة نتيجة لازدحام القمرات ببعض الهدايا التي أرسلها الرئيس الأمريكى للسيد سعيد ، وكانت تشغل حيزاً كبيراً منها حتى أصبح من المتعذر على شاغليها أن يمدوا أذرعهم أو يتحركوا بحرية فى داخلها .

أما عن المطبخ فقد كان من أفضل الأشياء فى الرحلة وبخاصة فى المراحل الأولى منها ، فالطباخ البرتغالى لويس بقى ضمن الطاقم وانضم إليه فى رحلة العودة مساعد ، تم التعاقد معه فى نيويورك هو جون ، وعلاق درنكر عنهما بقوله : « إنهما بلا شك طباخان ماهران ، ولقد كنا نود أن نستمتع أكثر بطعامهما لو أنهما كانا ينظفان أيديهما ويستعملان المنديل إذا عطسا » .

ويذكر الكاتب درنكر أنه فى إحدى المناسبات طاب من جون أن يعد له صحناً خاصاً من حساء الفاصوليا ، وهى من الوجبات التي اعتاد جون أن يقدمها فقط للبحارة العاديين ، فأراد أن يقدم صحن حساء يناسب كبراء القوم للكاتبين ، وكتب درنكر معقلاً على طبق الحساء بقوله « لقد ذكرنى صحن الحساء هذا بصحن يحتوى

ماء قد أخذ من حوض الغسيل بعد أن تجمعت فيه كل دهون أطباق وجبات عديدة غسلت فيه من قبل . »

وفي يوم السبت وكانت العادة أن يذبح خروف أو شاة لتوفير اللحم اللازم للضباط ، وقد تعلم جون كثيرًا وتدريب وعلمه ووترز كيف يصنع الحبز فأصبح بذلك أفضل بكثير مما كان عليه .

وبمضى الأيام والأسابيع أخذ الملل يشيع على ظهر السفينة ، وكانت الصلاة من وسائل القضاء على الملل ، فاقدر كان كل من درنكر وووترز من المتمسكين بدينهم ، وكانت وقت الصلاة يوم الأحد وقتاً مقدساً بالنسبة لهما إذا ما سمحت ظروف الملاحة للكابتن درنكر بذلك ، وكان أحمد بالمثل مواظباً على أداء فريضة الصلاة ، واعتاد أن يسأل كل بضعة أيام عن اتجاه القبلة بعد تغيير السفينة لموقعها أو اتجاهها .

وعبرت « السلطنة » خط الاستواء في ٢١ سبتمبر ، ثم بعد ذلك بتسعة أيام مرت على جزيرة ترنداد غير المسكونة ، وكان على السفينة أن تسير خمسة أسابيع طويلة بعد ذلك حتى تقترب من الأرض ثانية عند رأس الرجاء الصالح ، ووصلت إلى رأس الرجاء الصالح يوم ٣٠ أكتوبر ، فكتب درنكر معبراً عن الموقف ، بقوله : « صاح الجميع .. الأرض .. الأرض .. ولم يسبق لي أن سعدت

لسماع هذه الصيحة مثلاًما سعدت بها الآن ، فقد وصلنا الكاب ، وكنا نتوق إلى هذا الوصول ، فقد نفذ الماء أو كاد ، وقل الزاد وقارب على الانتهاء .. » .

بقيت السفينة أسبوعاً في ميناء الكاب تزود بما تحتاجه من غذاء وماء ، ولكى يستريح البحارة قبل الرحيل الثانى لمواصلة الرحلة فى التاسع من نوفمبر ، وكان لويس قد هجر السفينة ، وكان ذلك خيراً لها .

صادف أن كان شهر نوفمبر ذلك العام يقابل شهر رمضان المعظم وقد واظب أحمد وضباطه وجميع البحارة على الصيام بانتظام ، وكان أحمد من جانبه يعكف على الصلاة وقراءة القرآن ، وقد ذكر درنكر أن الجميع فضلوا الصيام رغم أن القرآن — كما علم من أحمد — يبيح للمسافر الإفطار ، وفى وصفه لمائدة الإفطار قال درنكر : « يقف الخدم حول الجمع المنتظر للطعام ، حتى إذا ما أطلقت الإشارة بأن الصوم قد انتهى باختفاء آخر شعاع من الشمس وراء الأفق اندفع الجميع يغرسون أيديهم فى الأرض الغنى بالدهن » .

وبمضى الأيام فى شهر رمضان بدأ تأثير الصيام يظهر على البحارة الذين كانوا يتكاسلون عن أداء عملهم بدعوى أنهم صائمون وكانوا — كما قال درنكر — يشكون من كونهم مرغمين على العمل فى الوقت الذى لا يستطيعون فيه تناول الطعام .

ومما ذكره درنكر أنه قبيل مغادرة السفينة لميناء الكاب استطاع أن يقنع أحمد بشراء خروفين كبيرين ليذهبوا يوم عيد الفطر خصيصاً لياكل منهما كل بحارة السفينة ، وقد كان لهذا أثره الكبير على رفع معنويات البحارة خلال المرحلة الأخيرة من الرحلة .

وفي ٢٢ نوفمبر دخلت « السلطانة » خليج موزمبيق ، وبعد ذلك بأسبوع كانت تمر على جزيرة موبوتو وهي آخر جزر القمر من جهة الشرق ، وأخيراً في ٧ ديسمبر وصلت السفينة إلى جزيرة شومبا التي تبعد ثمانية أميال عن زنجبار ، ولما كان الوقت متأخراً ، اتجه ووترز وجمعه سوياً في قارب إلى الشاطئ لدعوة بحار مرشد ليقود السفينة إلى مرساها في زنجبار .

وهنا ، وبينما الرحلة في آخر مراحلها ، وبينما كان البحارة يتلقون الأخبار الطيبة من أهلهم ويقابلون بالترحيب الشديد والفرح الجهم ، حدث ما لم يكن في الحسبان ، قوبلوا بمأساة وفاة محمد جمعه الساعد الأيمن لدرنكر ، والذي كان عماد السفينة الأول .

وقد ذكر درنكر في مذكراته ، أنه حينما ترك جمعه ، وقف عن مقعده وسار متجهاً إلى جانب في السفينة ، ووقف يتأمل في الأفق البعيد ، وفجأة وضع يده على حلقه من ألم فيه ، وأسلم الروح قبل أن يلحق به أحد وسقط من السفينة وغرق في الحال .

وكانت وفاة جمعه مفاجأة للجميع ، ذلك أن حبه كان يغمر قلوب كل البحارة ، وكل من على السفينة ، غير أن أحزان البحارة قد خفت واختلطت بفرحة الوصول ، وربما لم يحزن أحد عليه ، أو يتأثر بموته مثل ما تأثر درنكر الذي عرف المرحوم محمد جمعه عن قرب ، وأدرك ما يمتاز به على غيره من الرجال ، وكانت الصداقة بينهما متينة ، وقد ظل درنكر يذكرها طول حياته .

وفي الثامن من ديسمبر ، وقت الظهيرة ، ألقت « السلطانة »

مراسيها في خليج أمتوني أمام قصر السيد سعيد ، وانطلقت من فم
أحمد ومن قلبه صيحة منخفضة « الحمد لله » شاكراً الله على
سلامة الوصول ، وصاح الجميع حمداً لله كذلك .

لم يكن السيد سعيد في المدينة عند وصول السلطنة إلى زنجبار ،
ولذلك اتجه أحمد ودرنكر إلى السيد خالد الذي كان مسئولاً عن
حكم الجزيرة في ذلك الوقت للتعبير عن ولائهم ، وبعد أيام وصل
الخبر بأن السيد سعيد في طريق العودة ، وهذا لم تواصل السفينة
رحلتها إلى مسقط ، ووصل السيد سعيد يوم ١٦ ديسمبر ، وكانت
السفينة التي جاء عليها وتسمى « المحبوبة » قد وصلت بعد رحلة
امتدت عشرة أشهر . وتقدم أحمد بالتقرير إلى السيد سعيد عن بعثته
التي أممها ، وقدم له الكابتن درنكر .



(٩)

تقويم الرحلة

هل يمكننا في ضوء أحداث بعثة أحمد أن نقوم بها ؟ .. هذا هو السؤال بعد ذلك العرض التفصيلي لأحداث الرحلة .
فبالنسبة لإقامة اتصالات ودية مع الولايات المتحدة وشعبها ، نجد أن نتائج الرحلة في هذا المجال كانت واقعية وناجحة ، وإن كانت بالنسبة للسيد سعيد غير ذات قيمة كبيرة ، ومن وجهة نظره لم تستغل هذه الصلات على الوجه الأكمل ، إلا أنه من خلال هذه البعثة اكتسب السيد سعيد أمجاداً جديدة ، وكسب لبلده وضعاً خاصاً فقد أصبح أحد الحكام العرب القلائل الذين عرفوا ، كحقيقة واقعة لدى الشعب الأمريكي .

ولقد واصل السيد سعيد محاولاته لدعم العلاقات مع الولايات المتحدة ، فأرسل في عام ١٨٤٤ بعض الهدايا إلى الرئيس الأمريكي تيلون ، وأثنى ظهر فيما بعد بعض علامات من سوء التفاهم والخلاف إلا أن ذلك كان عارضاً ، ولم يكن يمحو ما كان قائماً فعلاً من علاقات صداقة بين الحكومتين .

أما عن النتائج التجارية للرحلة ، فإنها كانت أقل قيمة من النتائج السياسية التي حققتها ، ذلك أنه بعد أن وصل السيد سعيد إلى زنجبار بفترة قصيرة ، وقيل أن يرى التقرير الذي قدمه أحمد ،

تحدث إلى الكابتن درنكر معبراً عن سروره من النتائج الاقتصادية التي حققها الرحلة . وكانت هناك أسباب تدعوه إلى ذلك ، فمعظم البضائع التي أرسلت على ظهر « السلطانة » قد تم بيعها بأسعار عالية أو معقولة في نيويورك ، وكانت هذه الأسعار في أغلب الأحوال أكثر بكثير مما يدفعه التجار الأمريكيون الذين يزورون زنجبار أو مسقط لمثلها ، ورغم أن الأسعار في زنجبار كانت تتعرض للذبذبات الشديدة إلا أنه بمقارنتها بمستويات الأسعار في ذلك الوقت كانت أسعار نيويورك أفضل منها أو مقاربة لها .

كان القنصل ووترز قد أتاب عنه أثناء أجازته التي بدأت في يناير ١٨٤٠ رجلاً أمريكياً يدعى ر . ستار باركر الذي كان يعمل سابقاً في مؤسسة سكوفيل وبريتون ، وقد كتب ووترز في خطاب مفصل إلى باركر يوجه نظره إلى أن الصمغ المنظف يجب ألا يشتري بأكثر من ٣,٥٠ دولاراً للكيس الذي يبلغ وزنه ٣٥ رطلاً ، أما غير المنظف فلا ينبغي أن تزيد القيمة عن ٣,٢٥ دولاراً ، هذا بينما نجد أن الكيس المماثل من الصمغ قد بيع في نيويورك بشمانية دولارات للصمغ المنظف ، وخمس دولارات للصمغ غير المنظف .

أما بالنسبة لخلود جزيرة بما فقد اشترها باركر بأربعة دولارات للفة المكونة من ٢٠ قطعة ، بينما كان يبيعها لقباطنة السفن الأمريكية بمبلغ ست دولارات للفة ، وقد أثبتت هذه السلة نجاحاً كبيراً أيضاً في نيويورك ، إذ بيعت حمولة « السلطانة » من الخلود بسعر ٦,٢٥ دولاراً للفة .

وكانت السلعة الوحيدة التي لم تجد مثل هذا الرواج في نيويورك هي القرنفل ، فقد باعها أحمد بمبلغ ٣,٦ دولار للكيس ، بينما كان سعرها في زنجبار ٥١,٢ دولاراً لأجود الأنواع و ٤,٧٥ دولاراً للأنواع العادية ، ويبدو أن ووترز قد عمد إلى رفع أسعار القرنفل حتى يمتنع التجار عن الشراء بالأسعار العالية ، وتبقى كميات كبيرة في المخازن دون تسويق .

أما بالنسبة للسلع الأخرى فلم يعثر على قوائم أسعار لها ، وقد أفرغت جميع السلع التي جاءت بها « السلطانة » من أمريكا في ميناء زنجبار خلال أسبوع من وصولها ، وسلمت جميعها إلى تجار السوق المحلية الذين كانوا يعرفون باسم « البانيان » ويروى درنكر أن بعض هؤلاء المشترين قد تعرض لخسارة كبيرة بلغت في بعض الأحيان ٥٠ في المائة وبخاصة تلك التي أرغم التجار على شرائها ، وكان ذلك نتيجة لحالة الكساد العامة التي كانت عليها السوق في ذلك الوقت .

وفي ضوء الظروف التي أحاطت بالمغامرة يمكن أن ننظر إليها نظرة تقويم خاصة ، فان تكاليف الرحلة قد بلغت ٦١٧٩ دولاراً خلاف المواد الغذائية التي حملتها السفينة عند المغادرة من مسقط وزنجبار ، والتي لا تعرف تكاليفها بالضبط ، ويمثل هذا المبلغ ٢٤ في المائة من قيمة مبيعات البضائع التي أتت بها « السلطانة » من نيويورك .

ولئن كانت التفاصيل عن أرباح السيد سعيد من تجارته في المحيط

الهندي غير معروفة إلا أنه من المؤكد أن ما أنجزته تلك المغامرة إلى أمريكا الشمالية من أرباح كانت أقل بكثير من نسبة الربح التي تتحقق في تجارة المحيط الهندي سواء من الناحية الفعلية أو من الناحية المطلقة ، وذلك إذا أسقطنا من حسابنا أن « السلطنة » ومن عليها من بحارة كانوا قوة معطاة طيأة فترة الرحلة التي قاربت العام الكامل . وعلى ذلك فإن السيد سعيد ، وإن كان قد عبر بلسانه عن نجاح الرحلة ، إلا أنه لم يجد ما يشجعه على تكرارها بعد ذلك ، وقد أبلغ ووترز عن طريق أحمد عدم رضاه عن الضرائب العالية التي تم تحصيلها في نيويورك .

ولو أمعنا النظر في الأمر لوجدنا أن ذلك يعكس شعور عدم الرضا عن سياسة الحماية الجمركية التي كانت تفرضها الولايات المتحدة ، وإن كانت « السلطنة » لم تعان منها كثيراً إذ كانت الضرائب التي دفعها بسيطة نسبياً . وكانت تطبيقاً للمادة الثامنة من المعاهدة بين الولايات المتحدة ومسقط التي عقدت عام ١٨٣٣ . والتي تنص على أن تعامل سفن السيد سعيد في موانئ الولايات المتحدة معاملة الدول الأكثر تفضيلاً .

ولقد كانت التعريفة الجمركية في الولايات المتحدة عام ١٨٤٠ تسير على أساس قانون الضرائب على الواردات الصادر في عام ١٨٣٣ والذي جاء تعديلاً لللائحة سابقة كانت قد صدرت ١٨٣٢ ونص في اللائحة الجمركية لعام ١٨٣٣ على خفض الجمارك تدريجياً

على جميع البضائع بحيث تصبح ٢٠ في المائة على الأكثر عام ١٨٤٢
وبناءً على ذلك بلغت الجمارك على السجاد عام ١٨٤٠ وهى السنة
التي وصلت فيها « السلطنة » إلى نيويورك ٢٣,٥ في المائة من قيمته
بصرف النظر عن نوعه .

أما بالنسبة للبن فقد نصت اللائحة عام ١٨٣١ على أن يسدد
مبلغ سنت واحد عن كل رطل من البن الذى يرد من شرق رأس
الرجاء الصالح وبذلك كانت الجمارك التى تم تحصيلها على كل من
السجاد والبن الذى حملته « السلطنة » إلى نيويورك عالية نسبياً .

هذا ويوجد بعض الغموض فيما يتعلق بالمبالغ التى سددت
كجمارك على البضائع التى حملتها السلطنة ، ذلك لأن سجل الضرائب
الخاص بنىويورك للفترة التى كانت فيها الزيارة قد فقد ، وأن ما
أمكن العثور عليه منها وجد مبغراً هنا وهناك ، ولا يمكن بذلك
أن يعطى صورة كاملة ، ولكن على العموم أمكن من هذا الشتات
تكوين مجموعة من البيانات المتفرقة ، ومن هذه البيانات أن السفينة
سددت ما يعادل ٢٩٠,٧٠ دولاراً إلى توكيل السفن ، وهو رقم
شامل لا يمكن أن يتضمن أى تفاصيل .

وفى الوقت نفسه لا توجد أية بيانات من هذا القبيل فى كشف
حسابات أحمد ، كما أن مجموعة الأرقام الخاصة بمصاريف الميناء
لا تبدل على وجود أى نوع من هذه النفقات أو أى رقم يقاربه ،
ولكن هناك رقم وحيد يمكن التكهن به وهو مبالغ ٢٨٦,٩٨ دولاراً

يمثل ١٠ في المائة من ثمن السجاد . وإن صح هذا الرقم فعنى ذلك أن السجاد قد قدر بمبلغ ٢٨٧٠ دولاراً . وإذا كان الرقم الذى ظهر فى كشف حساب أحمد كحصيلة للسجاد هو ١٤٤٨,٦١ دولاراً فعنى ذلك أن السجاد قد أدى إلى خسارة كبيرة .

ولعل الخسارة التى قيل أنها لحقت بالسجاد تمثل حقيقة واقعة ولكن بتقويم نوع السجاد من النموذج المحفوظ منه حالياً فى مجموعات المتحف القومى نجد أنه كان من النوع العادى ، ولم يكن من النوع الحريرى الذى أهديت قطعة منه للرئيس ، وعلى ذلك فإن قيمته كما ذكرت فى كشف الحساب تبدو معقولة إن لم يكن مبالغاً فيها ، ولعل هذا يرجع إلى احتمال حدوث خطأ متعمد فى تسجيل أحمد لإيرادات السجاد فى كشف حسابه .

وإذا ما أخذنا فى الحسبان حصيلة بيع السجاد بعد خصم المبلغ الذى اعتبر ضريبة جمركية عليه بنسبة ٢٣,٥ فى المائة فيكون ثمن السجاد الذى قدمت تقديراته للجمارك هو ١٢٠٠ دولاراً هذا ، وعلى غير المتوقع ، لا يوجد أى ذكر لتسديد ضرائب عن البين ، مما يؤكد أنه لا توجد بيانات حقيقية وصحيحة تمثل الواقع ، ولعل الزمن يظهر لنا البيانات الحقيقية التى قد تفسر مثل هذه التناقضات الظاهرة ، وكذلك باختفاء بعض البيانات الحتمية كالضريبة المقررة على البين .

وأنقد جاء الوقت الذى أبدى السيد سعيد فيه رغبته فى إرسال سفينة إلى مانيلا لاستيراد السكر ، وطلب إلى الكابتن درنكر أن يقود هذه السفينة ، غير أن درنكر اعتذر عن ذلك بحجة أنه جاء فى مهمة لتدعيم العلاقات مع الولايات المتحدة وبخاصة مع نيويورك وذكر للسيد سعيد أنه سيغادر إلى وطنه على أول سفينة عائدة إلى الوطن ، وذلك إذا لم يقرر السيد سعيد إرسال سفينة أخرى إلى أمريكا .

وتنفيذاً لكلمته غادر زنجبار على ظهر السفينة بريندا فى يناير عام ١٨٤١ ، وبذلت جهود كبيرة للإبقاء على البحارة الأربعة الذين أتوا على ظهر « الساطانة » ليعملوا فى أسطول السيد سعيد غير أن هذه الجهود لم تأت إلا بنجاح محدود ، فقد وافق واحد منهم فقط على البقاء بينما أثر الثلاثة الآخرون العودة إلى وطنهم .

عاد القنصل ووترز إلى زنجبار ، وبقيت التجارة بين أمريكا وزنجبار فى أيدي تجار ميناء سالم ، وكان هناك تلميح من جانب الزنجباريين عن إرسال سفينة أخرى إلى الولايات المتحدة مرتين على الأقل ، كان القصد منها هو استحداث ووترز على شراء بعض البضائع الخاصة بالحاكم ، ومما يذكر فى هذا الصدد أن السيد سعيد استشار القنصل ووترز فى ديسمبر ١٨٤١ عن طريق عميله جيرام سيوجى فى إرسال السفينة المسماة « الغوالة » إلى الولايات المتحدة محملة بالصمغ ، وترك للقنصل بديلاً عن ذلك شراء كمية من الصمغ فاشترىها .

وقد تكرر ذلك في نوفمبر ١٨٤٢ — حيث كرر السلطان الفكرة
بارسال السفينة « غزالة » إلى نيويورك ، ووصلت الأخبار إلى مسامع
ووترز عن طريق أحمد هذه المرة ، فاحتج ووترز بأن الموضوع
غير مدروس بدقة وذكر أنه مشروع سطحي كما يبدو ، ثم وصل
إليه بعد ذلك بأسابيع قليلة اقتراح ووترز بأن يشتري كمية الصمغ
التي كان السلطان ينوي شحنها على السفينة « غزالة » وبذلك كانت
رحلة « السلطنة » هي أول وآخر رحلة تقوم بها سفينة تحمل علم
عمان وزنجبار القرمزي اللون إلى سواحل أمريكا (في تلك الفترة) .
أما عن الهدايا التي أرسلها الرئيس الأمريكي فاي يورين إلى
السيد سعيد فقد قبلها السيد سعيد رغم أن المستر هون عمدة نيويورك
السابق كان يسائل نفسه عما إذا كان السيد سعيد سيقبل الهدايا أم
سيرفضها ، وقد جاء هذا التساؤل نتيجة لنظرة هون إلى ما عوملت
به هدايا السيد سعيد في الولايات المتحدة .

ولقد حازت المرايا والأسلحة والشمعدانات الإعجاب ،
أما الزورق الفاخر الباهظ التكاليف فقد حاز على إعجاب أقل
بكثير مما حازته الأسلحة والمرايا .

ويرجع عدم الإعجاب الكبير بالزورق البخاري إلى أن البحارة
لم يكونوا مدربين على تسيير مثل هذه القوارب البخارية من قبل ،
ولذا تسببوا في انقلابه من أول مرة ، وتعرض راكبه من أقارب
السيد سعيد للغرق ، وقد أدى ذلك إلى الظن بأن هناك عيب في

الزورق نفسه مما جعل السيد سعيد يأمر بأن يوضع فوق السفينة الراسية المسماة « شاه غلام » حيث بقي سنين طويلة بليت فيه كل زخارفه واختفت كل الأغلفة الفضية من قوائمه وجوانبه وقواعد صواريه .

وأراد السيد سعيد في وقت من الأوقات إهدائه إلى القنصل ووترز ، ولكن ووترز رفض بشده أن يقبله ، وكذلك فشلت محاولات أخرى لبيعه لأحد المواطنين ، ولكن أخيراً في مايو ١٨٤٣ نجح السيد سعيد في استبداله من القنصل البريطاني هامرتون بقارب نى ستة مجاديف لم يكن يساوى في ذلك الوقت أكثر من مائتي دولار . أما بالنسبة لهدايا السيد سعيد التي أرسلها مع أحمد فقد اعتبرت هدايا لحكومة الولايات المتحدة ، ومعظمها مازال موجوداً حتى وقتنا الحاضر ، وكانت قد أودعت عام ١٨٤٣ في دار براءات الاختراع القديمة التابعة لوزارة الخزانة ، ثم نقلت ثانية في مارس عام ١٨٨٧ إلى متحف الولايات المتحدة القومى حيث أصبحت تكون جزءاً من أجمل مقتنيات المتحف ، إلا أن السيف اختفى كما أن زجاجات العطر قد تبخرت .

وقد حدث مرتين أن اختفت بعض هذه الهدايا مرة في عام ١٨٤٨ والثانية في الفترة من ١٨٨٧ إلى ١٨٩٢ حيث يبدو أنها سرقت ، وبقيت السجادة الحريرة محفوظة في مجموعة انجليكا سنجليتون فان يورين ، حرم الرئيس ، وهى المجموعة التي تضم

أيضاً أُرديتها الثمينة ، وكتب على هذة السجادة خطأ أنها مهداة من الرئيس إلى زوجته .

استقر أحمد بن نعمان في خدمة السيد سعيد ، وكانت رحلته إلى نيويورك سبباً في ترقيته إلى أعلى المراتب ، ورغم أنه كان في مستقط وزنجبار لا يخرج عن كونه كاتباً للسيد سعيد ، إلا أن ما لقيه من مجد وتبجيل في الولايات المتحدة جعله لا يدخر وسعاً في التحدث عن ذلك في كل مكان وكل وقت .

وبتغافل النفوذ البريطاني في زنجبار ، أصبح أحمد في نظر القنصل البريطاني هامرتون رائداً فيما أسماه بالاتصال بالجانب الأمريكي . وقد كتب هامرتون في فبراير ١٨٤٢ قائلا « أن نمط الاتصالات بين الإمامة والقنصل الأمريكي ووترز ، والجانب الأمريكي بصفة عامة قد تم من خلال أحد الكتبة في حكومة الإمام يدعى أحمد ابن نعمان ، وهو الذي ذهب على ظهر السفينة ساطانة إلى أمريكا ، وهو الذي يقود كل من يشيع عنا أننا شعب أقل مستوى من الشعب الأمريكي ... » .

وكان هامرتون يعتقد أن الجانب الأمريكي كان يحاول أن يستحث السيد سعيد ليتخذ خطوات مضادة للموقف البريطاني ، بأخباره عن كل محركات بريطانيا مثل موقفها من أفغانستان وغيره . أما عن الصداقة بين أحمد والقنصل ووترز فقد أثمرت كثيراً ، ذلك أن ووترز كتب إلى خلفه في زنجبار بعد أن غادرها عام ١٨٤٤

يقول : « عليك بمقابلة الكابتن حسن بن إبراهيم وأحمد بن نعمان وغيرهم من أصدقائنا القدامى كما فعلت أنا حينما كنت هناك » .
وقد فعل القنصل الجديد ما نصيح به ، وظل أحمد من الزوار الدائمين الذين يترددون على مؤسسة « بنجرى » ، وكثيراً ما كان يسأل عن صحة صديقه القديم ووترز أثناء هذه الزيارات ، وكان يعرض فيها خدماته على هذا الشاب الجديد .

ولما توفى السيد سعيد احتفظ الحاكم الجديد السيد ماجد بأحمد كسكرتيره الخاص ، ثم ترك أحمد الخدمة عام ١٨٥٨ ، وفى أكتوبر عام ١٨٦٠ أى بعد ذلك بسنتين كتب ريجي يقول :
إن أحمد أصبح ضعيف الصحة ، غير قادر على إعطاء المعلومات .
وتوفى إلى رحمة الله عام ١٨٦٩ ، ووضع على قبره حجر نقش عليه اسمه وتاريخ دفنه فى المقبرة العامة بنجبار .

وهناك فى مكتب لجنة الفنون بمبنى بلدية نيويورك توجد لوحة أصلية معلقة على الحدار طولها ٤٢ بوصة وعرضها ٣٦ بوصة ،
تتشمل على منظر لأحمد رسمه الفنان موفى ، كما توجد نسخة منها بريشة الرسام نفسه معلقة فى متحف بيدوى فى سالم بولاية ماساشوستس وهذه اللوحة غير مسجلة ضمن قوائم لوحات موفى ، ويرى البعض أن هذه النسخة قد رسمت ليأخذها أحمد معه إلى زنجبار ، وكانت مسز وليام ماك مولين قد أهدتها للمتحف فى سالم ، وكان زوج مسز وليام قد عمل سنين طويلة مديراً لأعمال مؤسسة بنجرى فى زنجبار ، وربما يكون قد أخذها من ورثة أحمد خلال تلك الفترة التى عمل فيها بنجبار .

أما صورة السيد سعيد فإنها هي الصورة الوحيدة التي رسمت له وكان قدر رسمها الفنان هنرى بلوس لينش ، وهي اللوحة المعالقة حالياً في متحف بيودى فى سالم .

أما « السلطنة » فقد عادت لتحتل مكانها ضمن سفن أسطول السيد سعيد ، ثم أرسلت فى عام ١٨٤٢ إلى إنجلترا كسفينة حربية تحمل مبعوثاً خاصاً من السيد سعيد إلى الملكة فيكتوريا ، ومع هدايا تضم بعض الخيول العربية المشهورة ، وقامت بهذه الرحلة أيضاً تحت قيادة قبطان أمريكى يسمى ويلسون كان صهراً لـ لوترز ، وفى إنجلترا أصابحت فى حوض البحرية البريطانية الكائن فى وولويتش .

وعند عودتها إلى زنجبار كانت فى أحسن حالاتها ، وظلت تعمل حتى وقعت لها حادثة فى تاريخ غير معروف ولكنه فى الأغلب بعد عام ١٨٥٥ ، فقد جنحت وهى عائدة من الهند أمام جزيرة وارين على مرمى النظر من جزيرة بمبا ، ولم يمكن إنقاذها وغرقت ...

في سنة ١٢٨٠ هـ الموافق ١٨٦٤ م في مدينة
البحرين في جزيرة البحرين في
البحرين في جزيرة البحرين في

في سنة ١٢٨٠ هـ الموافق ١٨٦٤ م في مدينة
البحرين في جزيرة البحرين في
البحرين في جزيرة البحرين في
البحرين في جزيرة البحرين في
البحرين في جزيرة البحرين في
البحرين في جزيرة البحرين في

في سنة ١٢٨٠ هـ الموافق ١٨٦٤ م في مدينة
البحرين في جزيرة البحرين في
البحرين في جزيرة البحرين في
البحرين في جزيرة البحرين في
البحرين في جزيرة البحرين في
البحرين في جزيرة البحرين في

(١٠)

خاتمة

استمرت العلاقات بين سلطنة عمان وتوابعها وبين الولايات المتحدة على أحسن ما يرام منذ عهد السيد سعيد ومبعوثه أحمد ابن نعمان ، وقد كلف سعيد بن خلفان فيما بعد بالقيام بأعمال القنصلية الأمريكية في عام ١٨٤٣ ، إلا أن سلطان مسقط لم يعترف به ، وظل الوضع كذلك بدون قنصلية حتى أعيد فتح القنصلية الأمريكية في مسقط عام ١٨٨٠ ، وظلت كذلك حتى سنة ١٩١٥ .

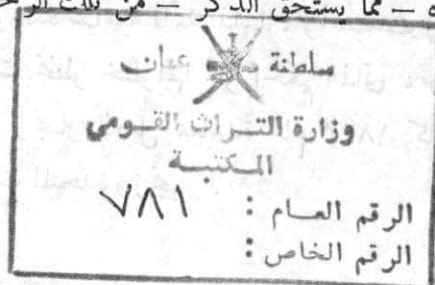
وفي تلك الفترة كان القنصل الأمريكي المقيم في اليمن يقوم بزيارات للسultan السيد سعيد بن تيمور الحفيد الثاني للسيد سعيد ، وذلك على الرغم من أنه كان غير معتمد لدى سلطنة عمان ، وفي ديسمبر عام ١٨٥٨ عقدت معاهدة صداقة واتفاقية اقتصادية جديدة مع إقامة علاقات قنصلية مع السلطنة ، وحتى ذلك التاريخ كانت المعاهدة المعمول بها هي التي وقعت عام ١٨٣٣ .

وفي عام ١٨٦١ انفصلت زنجبار عن مسقط وأصبحت كل منهما وحدة سياسية قائمة بذاتها ، وأصبحت زنجبار محمية بريطانية وأخذت تخطط خطواتها نحو الحكم الذاتي ، وفي عام ١٨٧٩ قبل سلطان زنجبار العمل بمعاهدة عام ١٨٣٣ كأساس للعلاقات بين الولايات المتحدة وزنجبار .

ثم أغلقت القنصلية الأمريكية التي فتحتها ووترز في زنجبار في عام ١٩١٥ ، وأخيراً في سبتمبر ١٩٦١ أعيد فتحها وحضر ممثل أمريكي إلى زنجبار مرة ثانية في عهد السلطان السيد عبد الله ابن خليفة الذي كان كقريبه في مسقط حفيداً للسيد سعيد .

مضى أكثر من قرن وربع على رحلة أحمد إلى زنجبار ، وتغيرت أنماط الحكم والسلطة في العالم العربي خلال هذه الفترة الطويلة ، وانكمش ملك السيد سعيد الذي كان ممتداً في شرقي أفريقيا وبدأ الأمريكيون خلال تلك الفترة يقيمون علاقات صداقة وصلات متعددة مع الحكومات والشعوب العربية ، ولئن كانت الشخصية العربية لها عندنا نحن الأمريكيين تكريماً واحتراماً فإن أحمد بن نعمان ورفاقه قد كان لهم الفضل في وضع البصمات الأولى للتعرف على الطبيعة العربية الطيبة البسيطة ، على الأقل في وسط جزء من الرأي العام الأمريكي .

ولعل هذه الصفحات - كما نأمل - تكشف عن جزء من الماضي ستاراً أسدله الزمن على رحلة أحمد بن نعمان ، ولعلها تذكرنا بما قد نسيناه - مما يستحق الذكر - من تلك الرحلة إلى شواطئ أمريكا .



الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٣
١ — السفينة و الرحلة ..	٥
٢ — العلاقات العمانية الأمريكية .	١٥
٣ — فكرة الرحلة	٢٩
٤ — سلطنة في نيويورك	٣٩
٥ — حسابات الرحلة ..	٥٧
٦ — مسألة الهدايا .	٦٦
٧ — الاستعداد للعودة ..	٧٦
٨ — في رحلة العودة ..	٨٤
٩ — تقويم الرحلة	٩٢
١٠ — الخاتمة .	١٠٥

٧٠٢

٧٠٢

٧٠٢

٧٠٢

٧٠٢

٧٠٢

٧٠٢

٧٠٢

٧٠٢

٧٠٢

٧٠٢

٧٠٢

٧٠٢

٧٠٢

٧٠٢

مملكة ~~مملكة~~ عمان
وزارة التراث القومي
النسبة
٧٨١ : الرقم العام
الرقم الخاص :

مطابع سجل العرب

انتاج عماد الدين / القاهرة ت ٩٣٧.٦